وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي التبسي - تبسة

جامعة العربي التبسي – تبسة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

TEBESSA UNIVERSITY–LARBI TEBESSI
UNIVERSITE DE LARBI TEBESSI TEEBSSA

الميدان: علوم إنسانية واجتماعية

الشعبة: علوم إنسانية

التخصص: تاريخ الثورة التحريرية

العنوان:

صالح بن يوسف وعلاقته بالثورة الجزائرية

1961-1954

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر "ل .م . د"

دفعـــــة: 2020

إعداد الطالبتين:

- أمال عزوز
- بثينة بنت عمار علاق

إشراف الأستاذ:

أ. د. **بوبكر حفظ الله**

UNIVERSITE DE TEBESSA

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
د. مها عيساوي	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
أ. د. بوبكر حفظ الله	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا
أ. محمد زموش	أستاذ مساعد –ب–	عضو ممتحننا

السنة الجامعية: 2020/2019

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

عرفان

أولا وقبل أي كان .... نشكر العالي المنان .... الذي أنزل علينا العلم والقرآن .... وأنقذنا من الجهل والبهتان .... وأمدنا بالعقول والأذهان .... وهدانا لصنع الأقلام .... فامتلأت بفضله الدفاتر حبا وإيمان ....

شكرا للأستاذ المشرف **بوبكر حفظ الله**

إلى من راقب خطانا ... وساعدنا على حقيق مسعانا ... إلى من كان رمزا للانضباط ... وساعدنا في كل الأوقات ...ولم يبخل علينا يوما في تقديم المساعدات ...وكان رمزا للثبات ... فاستحق منا أسمى عبارات الشكر والتقديرات ...سندعو أن يرفعه الله بالعلم درجات ...ويحقق أبرز النجاحات ...ويتحصل على أعلى الشاهدات ...نقول شكرا على كل نقص كنت له مكملا ... وعلى كل جهل كنت له معلما ... وعلى كل عمل كنت لنا فيه مرشدا...وعلى كل موقف كنت له سندا ّ...وعلى كل مأزق كنت لنا فيه، مخرجا.....

شكرا للأستاذ **براكني عبد الباقي**

إلى من أنار عقولنا بالمعلومات ...ولم يبخل علينا بالكتب والدراسات ...وزودنا بالنصائح والإرشادات .....فاستحق منا أسمي معاني الاحترام والتقديرات .... نقول لك شكرا

آمال - بثينة

:

قائمة المختصرات	
تر	ترجمة
تعر	تعريب
تق	تقديم
د.م.ن	دون مكان نشر
د.س	دون سنة
د. ط	دون طبعة
ص	صفحة
ج	جزء
م	ميلادي
هـ	هجري

الموضوع	الصفحة
فهرس الموضوعات	**I**
مقدمة	أ
الفصل التمهيدي: الوضع الداخلي السياسي لتونس ما بين 1954 -1956	
المبحث الأول: المفاوضات الفرنسية التونسية حول الاستقلال	**08**
المبحث الثاني: عودة الحبيب بورقيبة إلى تونس وإعلان الاستقلال	**19**
الفصل الأول: التعريف شخصية صالح بن يوسف	
المبحث الأول: المولد والنشأة.	**35**
المبحث الثاني: المسار التعليمي.	**39**
المبحث الثالث: بوادر العمل السياسي لصالح بن يوسف.	**44**
الفصل الثاني: النشاط السياسي والعسكري لصالح بن يوسف (1954-1956)	
المبحث الأول: النشاط السياسي لصالح بن يوسف داخليا وخارجيا	**55**
المبحث الثاني: النشاط العسكري لصالح بن يوسف.	**67**
المبحث الثالث: الخلاف البورقيبي اليوسفي 1955. 1961 واغتياله.	**76**
الفصل الثالث: دور صالح بن يوسف في الثورة الجزائرية.	
المبحث الأول: علاقة صالح بن يوسف بالثورة الجزائرية.	**95**
المبحث الثاني: انعكاسات الصراع اليوسفي البورقيبي على الثورة الجزائرية.	**103**
الخاتمة	**111**
الملاحق.	**117**
قائمة المصادر والمراجع	**125**
الملخص	

مقدمة

التعريف بالموضوع:

تعرضت تونس مثلها مثل بقية دول المغرب العربي للاستعمار الأوروبي منذ أواخر القرن 18 حيث استغل شعبها وارضها، مما أدى الى ظهور معارضة عسكرية وسياسية لاستعادة السيادة وطرد المستعمر قادها مجموعة من الرجال والزعماء الوطنيين ذلك بظهور نخب وطنية كان لها الدور الكبير في توعية الشعب التونسي لتبدا بالظهور أكثر وضوحا بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، في شكل أحزاب لها برامجها وقادتها الوطنيين الذين ساهموا في نشر الوعي السياسي التونسي ووقفوا في وجه المشاريع الفرنسية الاستعمارية التي حاولت محو الهوية الوطنية ومن هذه الأحزاب الحزب الدستوري التونسي تأسس في فيفري 1920 برئاسة عبد العزيز الثعالبي الذي انقسم إلى تيارين عام 1934 ضم هذا الحزب أعداد هائلة من الوطنيين أملا منهم في تجسيد استقلال البلاد، كما برزت عدة شخصيات قيادية في ساحة النضال الوطني التونسي مثلت بعثا لمشروع جديد ومتكاملا للوجود والكيان بكل أبعادها، مستخلصة العبر من مصادر الفشل التاريخي سياسيا وعسكريا أو حتى فكريا وثقافيا، من بينها الشخصية المدروسة صالح بن يوسف الذي كان أحد رموز ومهندسي تلك المقامة، وعلى هذا الأساس جاء عنوان مذكرتنا "صالح بن يوسف نضاله في تونس وعلاقته بالثورة الجزائرية 1954-1961".

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية موضوع بحثنا في كونه يتبع مسيرة "صالح بن يوسف" والوقوف على أهم الأسباب والعوامل المساعدة على نشأة هذا الزعيم السياسي وكذا التعرف على أهم محطاته النضالية خلال الحركة الوطنية التونسية ومواقفه من القضية الجزائرية.

ويهدف إلى التعريف بشخصية من شخصيات التاريخ المعاصر لتونس وما هي آثار هذه الشخصية.

وكذلك يهدف إلى الوقوف على الدور الفعال لهاته الشخصية في الحركة الوطنية التونسية وعلاقته بالثورة الجزائرية.

كونه يبحث في شخصية صالح بن يوسف انطلاقا من تعليمه ودراسته بالإضافة إلى نضاله الوطني ومواقفه من قضايا عصره.

الدراسات السابقة:

يعتبر موضوع دراستنا "صالح بن يوسف" نضاله السياسي وعلاقته بالثورة الجزائرية من بين المواضيع غير المدروسة، لكننا نجد أن ها الموضوع قد درس بشكل مفصل، حيث توجد دراسات حول شخصية "صالح بن يوسف" ونضاله السياسي بتونس، في حين هناك دراسات أخرى تطرقت إلى دور تونس في الثورة الجزائرية بصفة عامة ومن بين هذه الدراسات نجد:

❖ **عبد الحفيظ موسم:** الحركة اليوسفية والثورة التحريرية الجزائرية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تلمسان، 2015-2016م وقد درست هذه المذكرة حياة صالح بن يوسف ونضاله الوطني بما في ذلك موقفه من الثورة الجزائرية.

❖ **نجاة عبو:** التحرر الوطني ووحدة المغرب العربي لدى أحمد بن بلة وصالح بن يوسف "دراسة تاريخية مقارنة" 1954-1961م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المغاربي الحديث والمعاصر، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، المسيلة، 2014م، حيث

اقتصرت هذه المذكرة على دراسة شخصية صالح بن يوسف انطلاقا من مولده إلى نشاطه السياسي.

أسباب اختيار الموضوع:

هناك أسباب ذاتية وأسباب موضوعية دفعتنا لاختيار هذا الموضوع.

الأسباب الذاتية:

- تسليط الضوء على الشخصيات الهامة التي أثرت في الحياة الاجتماعية في تونس منها شخصية صالح بن يوسف.
- الرغبة في دراسة تاريخ تونس من خلال هذه الشخصية وكان ذلك عاملا محفزا لاختيار الموضوع.
- التعرف على الأساليب التي اتبعتها القادة في تونس للتخلص من الاستعمار.
- الرغبة في البحث في تاريخ المغرب العربي خاصة الفترة الاستعمارية.

الاسباب الموضوعية:

- البحث عن الحقيقة والحياد الموضوعي لمعرفة هذه الشخصية وإعطائها ما تستحقه بما لها وما عليها بالكشف عن نضالها خلال الحركة الوطنية والمقاومة التونسية.
- محاولة معرفة الاختلاف بين السياسة الاستعمارية في تونس وفي الجزائر بما أن البلدين متجاورين ولخضوعهما لنفس المصير المشترك.
- محاولة معرفة ما هي الأسباب التي اتبعتها القادة التونسيون للتخلص من الاستعمار.
- شخصية صالح بن يوسف التي تعد من المواضيع الجديرة بالبحث والدراسة نظرا لأهميتها في تاريخ الشعب التونسي.

الإشكالية:

وعليه فإن الإشكالية التي يتمحور حولها موضوعنا هي:

•مدى أهمية مساهمة صالح بن يوسف لخدمة القضية التونسية؟ وكذلك دوره في تعزيز العلاقة من الثورة الجزائرية؟

ولتوضيح هذه الإشكالية أكثر يمكن طرح بعض التساؤلات منها:

- من هو صالح بن يوسف؟
- ما هي الاستراتيجية التي انتهجها لمجابهة الاستعمار الفرنسي في تونس؟
- كيف كان موقف صالح بن يوسف من المفاوضات ومن اتفاقية الاستقلال التام؟
- فيما تمثل موقف صالح بن يوسف من الثورة الجزائرية؟

خطة البحث:

قسمنا موضوعنا هذا بناء على طبيعة الموضوع والمادة العلمية التي تحصلنا عليها إلى مقدمة وتمهيد للموضوع وثلاثة فصول وخاتمة وملاحق.

مقدمـــة: وهي عبارة عن مدخل والتعريف بالموضوع وأهميته وأهدافه والإشكالية المطروحة.

فصل تمهيدي: تطرقنا فيه إلى الأوضاع السياسية الداخلية لتونس من 1954 إلى 1956، كذلك النشاط السياسي لصالح بن يوسف من 1934-1954.

الفصل الأول: التعريف بشخصية صالح بن يوسف، وقسمناه إلى أربعة مباحث وتناولنا فيه:

المبحث الأول: المولد والنشأة، **المبحث الثاني:** المسار التعليمي، **المبحث الثالث:** بعض ما قيل عن شخصية صالح بن يوسف. **المبحث الثالث:** اغتياله

الفصل الثاني: النشاط السياسي والعسكري لصالح بن يوسف من 1954-1956م وقد قسمناه إلى ثلاث مباحث:

المبحث الأول: نشاط صالح بن يوسف في الداخل والخارج، **المبحث الثاني:** نشاطه العسكري، **المبحث الثالث:** الصراع اليوسفي البورقيبي.

الفصل الثالث: دور صالح بن يوسف في الثورة الجزائرية، وقد قسمناه إلى مبحثين:

المبحث الأول: علاقة صالح بن يوسف بالثورة الجزائرية، **المبحث الثاني:** انعكاسات الصراع البورقيبي على الثورة الجزائرية،

خاتمـة: حاولنا اعطاء بعض الاستنتاجات لأهم النتائج المتوصل إليها من خلال دراستنا لهذا الموضوع.

المنهج المتبع:

قد اعتمدنا في كتابتنا لأحداث هذه المذكرة حسب ما تقتضيه مواضيعها على عدة مناهج أولها:

- **المنهج التاريخي الوصفي:** الذي استعملناه في رصد الأحداث وترتيبها ترتيبا كرونولوجيا ووصفها حسب كل مرحلة من المراحل الواردة في خطة المذكرة.
- **المنهج التحليلي:** وظفناه في تحليل وتفسير الأحداث التاريخية المرتبطة بالنضال السياسي لصالح بن يوسف وتفكيك مادتها الخبرية للوصول إلى الحقائق الموضوعية.

المصادر والمراجع: وحرصنا على أن تكون المصادر والمراجع متنوعة لإثراء الموضوع من بينها نذكر:

❖ **المصادر:** اعتمدنا على مصادر أساسية أهمها: الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية وقومية جديدة 1830-1956، الصافي سعيد: بورقيبة سيرة شبه محرمة، على البهلوان، تونس الثائرة، الطاهر سعيداني: القاعدة الشرقية قلب الثورة النابض، أحمد المستيري: شهادة للتاريخ، محمد حربي: جبهة التحرير الوطني (الأسطورة والواقع). والمنصف الشابي: صالح بن يوسف -حياة كفاح-

❖ **المراجع:** اعتمدنا على مراجع أساسية أهمها:

القصاب أحمد: تاريخ تونس المعاصر (1881-1956)، عميرة علية الصغير: اليوسفيون وتحرير المغرب العربي، محمد ذويب: العلاقة اليوسفية، عبد الله مقلاتي وصالح لميش: تونس والثورة التحريرية الجزائرية، عروسية التركي: الحركة اليوسفية في تونس 1955-1956، اللولب حبيب حسن: التونسيون والثورة الجزائرية، عبد الله مقلاتي: دور بلدان المغرب العربي في دعم الثورة الجزائرية 1954-1962.

كما اعتمدنا على بعض الرسائل الجامعية منها: عبو نجاة: التحرر الوطني ووحدة المغرب العربي لدى أحمد بن بلة وصالح بن يوسف، موسم عبد الحفيظ: الحركة اليوسفية والثورة الجزائرية.

الصعوبات:

ولقد واجهتنا مجموعة من الصعوبات والعراقيل أثناء جمع المادة العلمية المتعلقة بالموضوع نذكر منها:

❖ صعوبة الوصول إلى المصادر التي تتناول حياة صالح بن يوسف بالتفصيل ما عدا كتاب المنصف الشابي وهو مصدر أساسي بالنسبة لموضوعنا.

❖ صعوبة الحصول على المصادر الاصلية والمراجع والوثائق وشهادات التي تخدم بحثنا والتي هي في الأصل قليلة بحيث نجد ها لكن تتحدث بصفة عامة وليس بصفة خاصة عن موضوعنا.

❖ عدم تطرق الدراسات السابقة لموضوع صالح بن يوسف وعلاقته بالجزائر فأغلبها تتحدث عن مواضيع أخرى في تونس.

❖ بعض الكتابات تسلط الضوء على جانب دون أخر وبعض المراجع اقتصرت على الإشارة.

❖ على العلم ان عنوان بحثنا عن شخصية تونسية لم نجد المادة العلمية الكافية التي تساعدنا في انجاز بحثا في الجزائر.

❖ لقد واجهتنا مشكلة جائحة كورونا *covid* 19 التي كانت سبب في قلة وندرة المصادر والمراجع لان هذه الجائحة عالمية تمنع الخروج من البيت.

.

الفصل التمهيدي:

أولا: الوضع الداخلي السياسي لتونس(1954-1956)

ثانيا: نشاط صالح بن يوسف السياسي ما بين (1934 - 1954)

أولا: الوضع الداخلي السياسي لتونس ما بين 1954 -1956

اندلعت الثورة المسلحة في تونس في عام 1952 إثر تأزم القضية التونسية وتسليط سياسة القمع، بدأت بإمكانيات بسيطة معتمدة أسلوب حرب العصابات، وبعضها كان موجها من قبل قادة الحزب الدستوري الحر والبعض الاخر هب بتلقائية او بتوجيه من الخطابي، وما لبث ان احتواهم الحزب كما حدث في المغرب وقد اشتدت المقاومة 1953 [1]

كما قامت الإقامة الفرنسية باعتقال كل من يشتبه في انتمائه للحركة الوطنية حتى امتلأت السجون وصدر قانون منع التجول ليلا، وفرضت الرقابة على الصحف التونسية، واستمرت اعمال البطش والتدمير من طرف القوات الفرنسية مخلفة ورائها خسائر ضخمة في الأرواح والمنشآت التونسية.

لقد اثير شعب تونس تماما واتجه الى المقاومة المسلحة، ولكن في هذه الفترة من عام 1954 تولى منديس فرانس [2] *mandis France* مقاليد الحكم في باريس[3]

---

[1] عبد الله مقلاتي وصالح لميش، تونس والثورة التحريرية الجزائرية، ج2، شمس الريحان لنشر والتوزيع، د. س. ن، الجزائر وزارة الثقافة، سلسلة التضامن العربي مع الثورة الجزائرية، ص 29

[2] ولد في11 جانفي 1907 م رجل سياسي فرنسي انخرط في الحزب الاشتراكي ، شارك في الحرب العالمية الثانية الى جانب قوات فرنسا الحرة، عين في تاريخ 1954 م رئيسا لمجلس الوزراء، انهى الحرب الفيتنامية باتفاقية جنيف 1954م، دخل في المفاوضات حزب الدستور، قدم استقالته مع حكومته في فيفري 1955م وتوفي في 18 أكتوبر 1982م ينظر للمزيد: نجاة عبو ، التحرر الوطني ووحدة المغرب العربي لدى احمد بن بلة وصالح بن يوسف دراسة تاريخية مقارنة 1945\1961م مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير تخصص التاريخ المغربي الحديث والمعاصرة، جامعة محمد بوضياف المسيلة كلية /معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية،

2014م، ص.142. وينظر أيضا: لزهيد بديدة، دراسات في تاريخ الثورة الجزائرية وابعادها الافريقية، ط1، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، بدعم من وزارة الثقافة بمناسبة المهرجان الثقافي الافريقي، 1430هـ، 2009م، ص 265.

[3] د م، تحاد المغرب العربي الوحدة التاريخية والجغرافية، مركز زايد للتنسيق والمتابعة، دولة الامارات العربية المتحدة، يونيو 2001، ص 70

بدأت هذه المقاومة تقلق هاجس الإدارة الفرنسية باستمرارها وتأثيرها، فكانت خشية منداس فرانس *mandis France* كبيرة من ان تتطور الاحداث لتخلق مشكلة جديدة في شمال افريقيا [1]

سارعت حكومة منداس فرانس الى ربط الصلة مع الوطنيين التونسيين، حيث تم الا تصال سرا عبر وسطا، [2] لحبيب بورقيبة [3] لتشاور معه حول مراحل انجاز الاستقلال الداخلي وهوما كشف عنه بورقيبة حين قال :" لقد طلب السيد منداس فرانس بصورة سرية، وفعلا تمت المقابلة في دار السيد سماجة مدير صحيفة "كومبا "، واستعراض امامي الوضع السيئ للحكومة الفرنسية بسبب المعارك في تونس والجزائر والمغرب، واستفسرني عن الحلّ، فقلت له : انكم تطاردونا المقاومين في تونس، وهم يدافعون عن انفسهم ....، وعرضت عليه ان يعدني بكف الجنود الفرنسيين عن ملاحقة الفلاقة، مقابل ان اصدر لهم الاذن بتسليم

---

[1] عبد الله مقلاتي وصالح لميش، المرجع السابق، ص. 29.

[2] تعود جذور الاتصال بالوطنيين التونسيين الى الفترة التي سبقت تولي حكومة منديس فرانس لسلطة، ففي مارس 1953 قام النائب الاشتراكي "الان سفاري " بزيارة بورقيبة في منفاه بجزيرة جالطا، وهي الزيارة التي مهدت لنقل الزعيم الى جزيرة قروى الفرنسية للتفاوض معه، وبعد تولي منديس فرانس 18 حريزان كلفت الان سفاري بمواصلة مهمته ، الى ان تأكدت فرنسا بان بورقيبة اقدر الى السير بالمفاوضات الى المستوى الذي تريد فرنسا بلوغه، انظر : عبد الحفيظ موسم ، الحركة اليوسفية والثورة التحريرية الجزائرية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراء ل.م.د في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 1436 -1437هـ/2015-2016 ص 52، وينظر للمزيد :سعيد بحيرة، بورقيبة بلسان بورقيبة : محاضرات بورقيبة بمعهد الصحافة عن تاريخ الحركة الوطنية (حياتي . ارائي . جهادي)، ط1، دار افاق، برسيكتيف للنشر تونس، 2015، ص . 305

[3] ولد سنة 1903 بالمنستير، درس في معهد الصادقية سنة 1913، وانهى تعليمه الثانوي بمعهد كارنو وتحصل على البكالوريا، ثم سافر الى فرنسا سنة 1924 حيث درس الحقوق، ثم عاد الى تونس سنة 1927، ليناضل في الحزب الدستوري الحر القديم، ثم أسس حزب جديد سنة 1934عين رئيسا للحكومة التونسية 1956 وفي 25 جويلية 1957 تم الغاء الملكية بتونس واعلن عن قيام الجمهورية التونسية برئاسته، واعيد انتخابه عام 1959 ومنحت له رئاسة الجمهورية مدى الحياة بعدما عدل الدستور في ديسمبر 1974، وفي 7 نوفمبر 1987 قام الأول زين العابدين بن علي بعزله من السلطة بسبب حالته الصعبة، وبعد عزله اقام المنستير الى حين وفاته في 6 أفريل 2000، انظر : الصافي السعيد، بورقيبة سيرة شبه محرومة، رياض الرياس للنشر، بيروت، 2000، ص13 ... 388، وانظر للمزيد: لزهيد بديدة، دراسات في تاريخ الثورة الجزائرية وابعادها الافريقية، المرجع السابق، ص 258

أسلحتهم، لا للسلطات الفرنسية، وانما للجان حربية مشتركة من التونسيين والفرنسيين، بدورها تتولى تسليم السلاح للحكومة التونسية، فقبل الاقتراح، وحذرته من مغبة عدم الوفاء بالتزام حين ذكرت له بان إصابة أي عنصر من للفلاقة باقل مكروه، سيعرض الوضع الانفجار من جديد ...." وعلق بورقيبة عن هذا اللقاء بقوله: "ان الاستقلال يظل الطموح الأكبر للشعب التونسي، وتشكيل مقترحات منديس فرانس مرحلة حاسمة في سبيل ذلك "[1]

في30 جويلية 1954م صادق مجلس الوزراء الفرنسي على مبدأ الاستقلال الداخلي لتونس، بعد ان تلقت فرنسا هزيمة كبرى في معركة " ديان بيان فو"، فبعد فترة من العذاب النفسي تقلبت الهزيمة رغما عنها، ولكنها لم تكن ترغب ان تحدث لها هزيمة أخرى في تونس، وخاصة ان فرنسا كانت تخاف من تتجد الحركات الثورية المسلحة في المغرب العربي، لذلك لجات الى محاولة ابعاد الحركات الثورة التونسية المسلحة عن ميدان المعركة.

قام منديس فرانس برحلة خاطفة الي تونس في 31جويلية 1954وأعلن قبول حكومته لمبدأ الحكم الذاتي لتونس.[2] وهذا صرح به امام الباي، وكان لهذا التصريح واقع كبير في تونس وفي العالم، فهي المرة الأولى التي تعترف فيها فرنسا لشعب تونس بهذا الحق رغم انه دون حقوقه الكاملة بكثير. لكن منداس فرانس اقترح تكويف حكومة تونسية جديدة لها صلاحيات واسعة لتكون الممثل الرسمي لفرنسا باسم الشعب التونسي وباسم الباي في

7 عبد الحفيظ موسم، المرجع السابق، ص52

8 عز الدين معزة، فرحات عباس ولحبيب بورقيبة دراسة تاريخية وفكرية مقارنة 1899.2000، أطروحة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2009 . 2010، ص 335

9 عزالدين زايدي، نزول قوات الحلفاء وأثره على شمال افريقيا، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي ليابس . سيدي بلعباس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2014 . 2015، ص، ذ ذ 41. وينظر للمزيد: محمد الهادي الشريف، ما يجب ان تعرف عن تاريخ تونس من العصور ما قبل التاريخ الى الاستقلال، ط3 دار سراس للنشر، تونس، 1993، ص 136.

المفاوضات التي وعد بانطلاقها في أقرب الآجال لضبط شروط الاستقلال الداخلي وطبيعة العلاقات التونسية الفرنسية في الفترة القادمة [1]

وما جاء في خطابه: "إن الحكومة الفرنسية تعرف بالاستقلال الداخلي للدولة التونسية، وتعلن فرنسا ذلك عن حسن نية، وهي حريصة في نفس الوقت على تأكيد من ذلك من حيث المبدأ والعمل على توفير جميع الحظوظ لتحقيق النجاح ....، إن درجة التطور التي يبلغها الشعب التونسي والتي يحق لنا أن نبتهج بها لاسيما وقد ساهمنا كثيرا في ذلك، وكذلك قيمة نخبته اللافتة للنّظر، تبرز قيام الشعب بإدارة شؤونه بنفسه، وبناء على ذلك فإنّنا مستعدون لأحالة الممارسة الداخلية للسّيادة الى شخصيات مؤسسات تونسية ...، ويكن أن تتألف حكومة تونسية جديدة بعهد لها علاوة على إدارة شؤون الإيّالة بمهّمة التفاوض باسم سموّكم مع الحكومة الفرنسية في شأن لاتفّاقيات التي تضبط بوضح الالتزامات المتبادلة للبلدين".[2]

ألقى هذا الخطاب الشهير في قصر قرطاج اعلان فيه رسميا اعتراف الجمهورية الفرنسية باستقلال الدولة التونسية الداخلي وقد رحب بورقيبة من منفاه بجزيرة جالطا بهذه الخطوة[3] وصرح في1أوت 1954 قائلا: إن هذه المقترحات تمثل مرحلة هامة وحاسمة في إعادة السيادة الكاملة للبلاد التونسية".[4]

اجتمع الديوان السياسي للحزب الحر الدستوري الجديد في جنيف يوم 3اوت1954م برئاسة صالح بن يوسف وتمت الموافقة على مشاركة الحزب الدستوري الجديد في حكومة

[1] المنصف الشابي، الزعيم صالح بن يوسف حياة كفاح، ط4، دار النقوش العربية، تونس، 2017، ص. 12

[2] عبد الحفيظ موسم، المرجع السابق، ص 53

[3] قدادرة الشايب، الحزب الحر الدستوري الجديد وحزب الشعب الجزائري 1934 . 1954 دراسة مقارنة، أطروحة مقدمة انيل درجة الدكتوراه الدولة في تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2006 . 2007، ص 193.

[4] خليفة الشاطر وآخرون، تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، ج3، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2005، ص 169

التفاوض، وتم تشكيل حكومة تفاوضية[1] برئاسة الطاهر بن عمار[2]وهنا اختلفت الآراء في يوم تشكيل هذه الحكومة يوجد من يقول ان يوم 7اوت 1954 واخرون يقولون يوم 17اوت 1954 اما عميرة علية الصغير تقول ان تكوين حكومة التفاوض في15اوت1954 التي شارك فيها الحزب وكانت برئاسة الطاهر بن عمار وذهب في نفس الاتجاه اذ حدد مهمة هذه الحكومة في "إمضاء اتفاقيات مع الحكومة الفرنسية تقوم على تحويل السّلط الى اشخاص ومؤسسات تونسية وتحديد العلاقات القادمة بين تونس وفرنسا"، هذه المقررات سوف تكون مرجعية صالح بن يوسف في موافقة قبل واثناء انطلاق المفاوضات حول الاستقلال الذاتي في سبتمبر 1954 ويبرز ذلك في مختلف التصريحات والمواقف التي صدرت عنه.[3]

فعلا افتتحت المفاوضات التونسية بصفة رسمية يوم 4سبتمبر 1954، حيث ضم الوفد التونسي كل من المنجى سليم[4] والعزيز الجلولي[5] ومحمد المصمودي[6]، ومجموعة من الخبراء الخبراء أمثال (عبد الله فرحات، الفرجاني بلحاج عمار، علي الزواوي، محمود الخياري) برئاسة الطاهر بن عمار رئيس الحكومة التونسية، بينما ضم الوفد الفرنسي كل من المدير العام للشؤون السياسية والاقتصادية بوزارة الشؤون التونسية المغربية، ومدير الشؤون السياسية والاقتصادية بالنيابة والمتفقّد العام للمالية والمدير العام لصندوق مراكز النيابة ومدير الوظيفة

[1] عز الدين معزة، المرجع السابق، ص 336

[2] ولد بتونس في نوفمبر 1889م لعب أدوار سياسية في الفترة الممتدة من (1921 . 1956) م، كان ضمن الوفد الدستور سنة 1921م الذي رفع مطالب التونسيين بسلطات بفرنسا، والتي حققت الاستقلال الداخلي في جوان 1956 م، التي ستمهد لإعلان الاستقلال في 20 مارس 1956م، وتوفى في 10 ماي 1985، لنظر للمزيد: نجاة عبو المرجع السابق، ص 143

[3] عميرة علية الصغير، اليوسفيون وتحررا لمغرب العربي ط1، المغاربية لطباعة والاشهار، 2007، د.م.ن، ص 14 -15

العمومية والكاتب العام القار للدفاع الوطني، تحت رئاسة كريستيان فوشي ووزير الشؤون التونسية والمغربية.[1]

كتب السيد محمد المنصوري مقالا في جريدة الصباح[2] الصادرة في 5 سبتمبر 1954 أكده فيها ان المفاوضات لا يمكنها ان تتواصل في جو ملؤه التخوف وعدم الاطمئنان. ان الثقة والحذر ضروريان لنجاح المفاوضات ثم يعرب المصمودي عن تنديده بما يسمى بالأعمال الإرهابية والمدن والقرى مهما كان مصدرها ومهما كانت اسبابها، وبعد تصريح هذا الأخير بأيام القى السيد عزوز الرباعي رئيس الشبيبة الدستورية خطابا حذر فيه الوفد التونسي الى المفاوضات من انه لا سبيل الى القبول بالاستقلال منقوص، فالشعب التونسي لا يقبل اية لغة لتعبير عن سيادتها سو الاستقلال التام.[3]

دعى بورقيبة في 21 نوفمبر 1954 باسم الحزب الدستوري الحر المقاومين الى تسليم أسلحتهم وصدر في باريس تصريح مشترك بين المقيم العام وحكومة الطاهر بن عمار التونسية جاء، فيه انه بمقتضى الاتفاق المبرم بينهما لن يقع بعد ذلك ارجاع الفلاقة[4] او

---

[2] . هي جريدة سياسية إخبارية صدرت بداية من الفاتح من نوفمبر 1951، قريبة من الحزب الدستوري الحر مدبرها الحبيب شيخ روحه، توقفت عن الصدور من 21اوت 1957 الى 21 مارس 1958 حيث عادت لصدور من جديد. شكل خط الجريدة الأكثر راديكالية بالمقارنة مع جريدة العمل لسان حال الحزب الدستوري الحر شكل لها هذا الخط أكثر مقروئية بالمقارنة أيضا مع العمل خاصة لدى الجزائريين وعلى الخصوص بالشرق الجزائري، حتى ان الحكومة العامة بالجزائر قررت منع دخولها الى الجزائر بالنظر لما كانت تروج له من أفكار تحررية وبذلك صدر قرار حجزها بتاريخ 09 جوان 1951. انظر: احمد مسعود سيد علي، اهتمامات الراي العام التونسي بقضايا الثورة لجزائرية جريدة الصباح التونسية نموذجا 1954 . 1958، مجلة المعارف للبحوث ولدراسات التاريخية، العدد 11، جامعة المسيلة، ب. د. س. ص، ص 174

[3] . المنصف الشابي، المرجع السابق، ص 128.

[4] هو التعبير الشعبي الذي اطلق على الثوار المحاربين، وتعني كلمة فلاقة قطاع الطرق او أصحاب الفتوة، وشاعت هذه الكلمة في أوساط الدستور بين كما في الإدارة الفرنسية. وهي تعادل اليوم كلمة . إرهابيين. انظر: سعيد الصافي، بورقيبة سيرة شبه محرومة، ط1، رياض الرياس للنشر، بيروت، 2000، ص 190

تتبعهم، وتسلم لكل واحد منهم شهادة صادرة عن المقيم العام، وستتخذ إجراءات لتسهيل عودة الفلاقة الى استئناف حياتهم العادية بين أهلهم وذويهم، ويتضح لنا من خلال عنصري السرية والسرعة مدى اضطراب الموقف الفرنسي في معالجة القضية الفرنسية بمجرد اندلاع الثورة الجزائرية اذا كان التخوف واضحا من تجرد الخيار الثوري والتحامه بالثورة الجزائرية[1] واتفق الطرفان الفرنسي والتونسي على توجيه نداء يوم 22نوفمبر1954م الى المجاهدين لتوفيق الكفاح المسلح وتسليم أسلحتهم لأن الثورة الجزائرية قد بدأت تحفر قبر الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي، وخاصة بعد ان استبشر المجاهدون التونسيون والمغاربة خيرا باندلاع الثورة الجزائرية، فارتفع عدد المجاهدين في كامل البلاد التونسية وزادت هجومات اكثر . هل تستطيع فرنسا ان تتحمل "ديان بيان فو "للمرة الثانية في المغرب العربي؟ ففرنسا كانت في هذا الوقت مازالت تعاني من اثار صدمة هزيمتها في الهند الصينية. فرؤيتها لثور مسلحين في تونس والجزائر والمغرب يدمي جراح هزيمتها في ديان بيان فو" [2]

كان تصريح صالح بن يوسف في جنيف في31 ديسمبر 1954 وأثناء المفاوضات الدائرة في باريس وتأكد تصلب الجانب الفرنسي تصريح فاصل وجلي .حيث يقول: لقد دقت الساعة اليوم لرفع كل التباس لتعلم فرنسا (تعليق على خطاب منديس فرانس) وتعلم جميع البلادان التي منحت ثقتها الى منديس فرانس لينهي بوسائل السليمة كل المشاكل القائمة بين تونس وفرنسا، أنا الشعب التونسي لن يرضى أبدا بحكم ذاتي صوري يحول دون تحقيق

[1] عبد الله مقلاتي، العلاقات الجزائرية المغاربية ابان الثورة التحريرية الجزائرية (1954- 1962)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2007 . 2008، ص 158، وينظر المزيد: عبد الله مقلاتي وصالح لميش، المرجع السابق، ص 31.

[2] عزالدين معزة، المرجع السابق، ص 337.

[3] عميرة علية الصغير، المرجع السابق، ص. 15

الاستقلال التام للوطن التونسي (...)إنما الحكم الذي تقبله لا يكون إلا متجسما في حكم وطني صرف يدير وحدة شؤون البلاد التونسية".

أصدر صالح بن يوسف من جنيف بيانا ف 3 فيفري 1955 نقلته صحيفة الاهرام القاهرية أعلن فيه مطالب التونسيين وكشف التونسيين وكشف عن السبب في حالة التوقف التي وصلت اليها المفاوضات التونسية الفرنسية وهي مفاوضات تبغي تونس من ورائها الفوز بالحكم الذاتي. وقال في بيانه ان فرنسا لا تريد منح تونس حكما ذاتي حقيقيا وقد انطوى البيان على تهديد قطع المفاوضات وإصابة السيد منداس فرانس رئيس الحكومة الفرنسية بنكسة شديدة.

رغم كل ما فعله بن يوسف في هذا الأخير وموقفه ضد السلطة الفرنسية لأنه يريد الاستقلال التام والحرية والسيادة للبلاد ولكنه وصف بالمتصلب رغم ان لموقفه صدى سياسي كبير لكن وصفته جريدة لومند ان الاوساط السياسية التونسية لم تبادر بالرد على تصريحات بن يوسف. [1]

العودة الى التفاوض:

أرادت الحكومة الفرنسية سحب البساط تحت اقدام المزايدين "فعادت الى مائدة التفاوض في 5 جانفي 1955. وحضر الجلسة الأولى السيد منداس فرانس بنفسه كتأكيد على جدية الموقف الفرنسي خلال هذه الحركة الجديدة من المناقشات. وكانت اول النقاط التي اثارها الطرف الفرنسي في هذه الجلسة هي التصريحات التي ادلى بها الأمين العام للحزب في جنيف قبل ذلك بيومين وعبروا عن دهشتهم واستيائهم العميق منها.[2]

[1] منصف الشابي، المصدر السابق، ص 135. 136 . 137

[2] المصدر نفسه، ص. 138

نتيجة لذلك دخلت المفاوضات في مازق خطير، حيث رجع الوفد التونسي المفاوض الى تونس يوم 19جانفي 1955للتشاورمع الديوان السياسي والحكومة التونسية، ثم عاد الى فرنسا يوم 21 جانفي 1955 بمعية رئيس الوزراء الطاهر بن عمار، واستأنفت المفاوضات بعد استشارة صالح بن يوسف والحبيب بو رقيبة، حيث اقتنع الوفد الفرنسي بتونسية الشرطة، ورفض الوفد التونسي بقاء الجنوب تحت سلطة الامن الفرنسي، مؤكدا بذلك على تمسكه بمبدأ وحدة السيادة التونسية، غير انه رفض مبدا (الكل او لا شيء)، حين قبل ببعض التنازلات الظرفية في مجال الامن[1] أسقطت الجمعية الوطنية حكومة منداس فرانس في 5 فيفري 1955، بسبب سياستها في شمال افريقيا[2] وسحب البرلمان الفرنسي ثقته من حكومة منديس فرانس، لان المفاوضات مرة بفترات صعبة وواجهت عراقيل خطيرة، ومن اهم هذه العراقيل رفض الجالية الفرنسية بتونس لأي تنازل، ونجحو أيضا في اسقاط هذه الحكومة التي كانت لمنديس فرانس[3] خشية ان تفتح التجربة التونسية الطريق للقضاء على الإمبراطورية الفرنسية، تكون مثالا يقتدى به في الجزائر، وتم تعويضها يوم 06 فيفري بحكومة ادغارفور[4] " *edgar four*"، هذا الأخير الذي استأنف صحبة وزيرة للشؤون المغربية والتونسية المحامي الصحفي "بيار جولي" *Pierre golly* المفاوضات مع الوفد الفرنسي بصورة سريعة، ونجح في تقريب وجهات النظر بين الطرفين المتفاوضين بعدما

[1] عبدالحفيظ موسم، المرجع السابق .55.

[2] عز الدين زايدي، المرجع السابق، ص41 ذذ

[3] لهادي البكوش شهادات على الاستعمار والمقاومة في تونس والجزائر والمغرب، موفم للنشر، الجزائر، 2013، ص181

[4] ولد في18 أوت1508 وتوفي في30 مارس 1988. سياسي فرنسي نشط في الحزب الجمهوري ثم الراديكالي والاشتراكي ورئيس وزراء، لفترتين خلال الجمهورية الفرنسية الرابعة–الفترة الأولى من 20 جانفي 1952 حتى 8 مارس 1952 والثانية من 23 فيفري 1955 حتى 1 فيفري 1956. انظر: سعيد بحيرة، المرجع السابق، ص .316

تمكن من إيجاد حلول جذرية لنقاط الاختلاف بينهما، اثناء لقائه مع الحبيب بورقيبة في قصر ماتينيون يوم 21افريل 1955.[1]

في 23فيفري 1955 وصل ادغارفور *Edgar four* إلى منصب رئاسة الحكومة الفرنسية خلفا لمنداس فرانس كما أصبح أنطوان بيناي *piney (a)* وزير الشؤون الخارجية وكما ذكرنا سابقا بيار جولي *July (P)* وزير الشؤون المغاربية والتونسية، وجراء هذا التغيير تخوف التونسيين من عدم سير المفاوضات كما حدث من قبل، الا ان ادغارفور أعلن عن تمسك الحكومة بمواصلة المفاوضات.[2]

تجاوزت المفاوضات مسالة المبادئ وأصبحت متعلقة بآجال، ورفض الوفد التونسي بقاء الجنوب التونسي تحت السلطة الامن الفرنسي مع قبوله مبدا السيادة التونسية، وفشل بعض التنازلات الطرفية في مجال الامن، بعد سقوط الحكومة منديس فرانس، واصل ادغار فور المفاوضات مصرحا: "من الممكن الوصول الى اتفاق دون الافراط في تنازل " وكان هدفه من بدرجة الأولى عزل الثورة الجزائرية التي بدأت تقلق باريس [3]

بعث في شهر فيفري 1955 بخطاب شديد اللهجة الى كل من بو رقيبة والمفاوضين التونسيين، ودعاهم الى التشدد في مواجهة فرنسا ومن هنا يمكن ان تستنتج ان بن يوسف كان متلهفا على انهاء المفاوضات خلال زمن قصير، حتى تمر البلاد الى مرحلة جديدة في علاقتها مع فرنسا.[4]

---

[1] عبد الحفيظ الموسم، المرجع السابق، ص 56

[2] عروسيه التركي، الحركة اليوسفية في تونس 1955.1956، ط1، مكتبة علاء الدين، صفاقس، 2011، ص –184

[3] خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق، ص 170 . 171

[4] عروسيه التركي، المرجع السابق، ص 184

استؤنفت المفاوضات يوم 15مارس 1955في "كأي دورساي "بباريس، وبنفس الممثلين عن الجانب التونسي: الطاهر بن عمار ومحمد المصمودي والمنجى سليم وعزيز الجلولي، أما بالنسبة للطرف الفرنسي فقد تغير الوزراء المفاوضون بآخرين وهم السادة لوسيوس*(lacius)* جيو فروي *(Geoffroy)* وروجي سايدو *(Seydoux)* وكان العزم على انها المفاوضات في ظرف أسبوعين[1]

في يوم 25 مارس طرح الوفد التونسي في المفاوضات الجارية بباريس موضوع العودة صالح بن يوسف والحبيب بورقيبة فقوبل الطلب بشي من المماطلة وكان الزعيم صالح بن يوسف يركز اهتمامه على ثلاثة نقاط أساسية في تلك المرحلة: مراقبة سير المفاوضات وإعادة بناء قوة وطنية مسلحة التحضير لمؤتمر باندونغ.[2]

وقد صرح الطاهر بن عما رفي 11 أفريل 1955 قبيل التحاقه بباريس لمواصلة المفاوضات بأنه متفائل وأنه سيصل الى نتيجة قبل رمضان غير أن صالح بن يوسف يقول في إحدى رسائله الى الباهي الادغم[3]:"إن أصدقاءنا لم يعينوا تاريخا تنتهي فيه المفاوضات فهم يعولون على قطع المفاوضات من قبل الفرنسيين وتحملها مسؤولية ذلك، قصد تعزيز موقف تونس على الصعيد الدولي الذي يتهيأ لمؤتمر باندونغ [4]

كان بن يوسف متشوقا الى العودة، ولكن اتفاق 21 أفريل 1955 بين بورقيبة وادغارفور حول اتفاقيات "الحكم الذاتي الصوري "جعله يصرح بعد عودته من باندونغ الى

---

[1] عروسيه التركي، المرجع نفسه، ص 188 .189

[2] المنصف الشابي، المصدر السابق، ص 140

[3] ولد في 13 جانفي 1913 بتونس العاصمة، نجح في مناظرة الدخول الى المدرسة الصادقية التي التحق بها في مستهل السنة الدراسية 1927–1928، وقد واصل بها دراسته الى أن أحرر دبلوم ختم الدروس الثانوية في أخر سنة 1933 التحق بالحزب الدستوري التونسي الجديد، تقلد منصب رئيس حكومة بعد الاستقلال، توفى في 13 أفريل1998. أنظر: براكني وعبد الباقي وشلالي عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 94. 95

[4] عروسية التركي، المرجع السابق، ص 189.

القاهرة بأنه لن يعود حتى تنجز تونس استقلالها التام، ملزما نفسه بمواصلة الكفاح وطالبا من الشعب رفض الاتفاقيات وهو ما يتماشى ونيته في إعادة الكفاح المسلح وقيادته من الخارج[1]

ثانيا: عودة الحبيب بورقيبة إلى تونس:

وعاد بورقيبة إلى تونس يوم 01 جوان 1955 فأستقبله الجموع الغفير بحماس فياض. أما الحزب الدستوري الجديد فكان يجني ثمار عشرين سنة من الكفاح وكان يبدو سيد الموقف، ولكن سرعان ما مزقه انفصام كبير أحدثه أمينه العام صالح بن يوسف برفضه المعاهدات الفرنسية التونسية والاستقلال الداخلي ولمناداته بمواصلة الكفاح جنبا الى جنب مع بلدان المغرب العربي الأخرى.[2]

رجع الحبيب بورقيبة الى تونس، قادما إليها من مرسليا على متن سفينة "مدينة الجزائر" بعد معاناة طويلة من النفي والسجن والنضال الذي استمر لمدة 20 سنة، بعد أن أصبح يعرف أن اتفاقية الحكم الذاتي ستوقع بين يومين من تاريخ عودته.[3]

وبالفعل قد توصلت الحكومتين (التونسية والفرنسية) الى المصادقة بصفة رسمية على اتفاقيات الاستقلال الداخلي لتونس يوم03 جوان 1955، ثم صادق عليها كل من البرلمان الفرنسي في 09 جويلية ومجلس الجمهورية الفرنسية في 03 أوت، ليمضي عليها أخيرا الباي محمد الأمين في 27 أوت 1955، مصرحا:" بناء على كوننا الملك الشرعي للقطر التونسي نعلن اننا وضعنا خاتمنا على الاتفاقيات المبرمة في 03 جوان 1955 بين حكومتنا التونسية والحكومة الفرنسية، والمتضمنة لإقرار السيادة بما يتبعها من حقوق وامتيازات، وهذا

[1] عروسية التركي، المرجع نفسه، ص 235.

[2] محمد الهادي الشريف، المصدر السابق، ص 137.

[3] السعيد الصافي، المرجع السابق، ص 189. انظر للمزيد: قدادرة الشايب، المرجع السابق، ص 166.

الحدث يفتح في مملكتنا عصرا تسود فيه الطمأنينة والسلام، وتوثق به عرى المودة بين الشعبين التونسي والفرنسي".[1]

في 03 جوان 1955 وقعها بصفة رسمية كل من ادغار فور وجلول فارس وطاهر بن عمار والمنجي سليم رغم تحذير بن يوسف مما قد ينجر على ذلك.[2]

كانت بقصر *hôtel Matignon* ماتينون، واحتوت اتفاقية الاستقلال الداخلي على:

. اتفاقية عامة.

. اتفاقية بحالة الأشخاص.

. اتفاقية قضائية.

. اتفاقية خاصة بالتعاون الإداري والفني.

. اتفاقية ثقافية.

. اتفاقية اقتصادية ومالية.

وتتفرع الى بروتوكولات ومرسلات، وملاحق أمضاها عن تونس رئيس الحكومة الطاهر بن عمار ووزير الدولة المنجي سليم وعن فرنسا رئيس مجلس الوزراء ادغار فور وبيار جولي.[3]

زادت الأوضاع السياسية المتردية بالبلاد بعد اتفاقية الحكم الداخلي 03 جوان 1955 في تغذية روح الرفض للأوضاع السائدة والتشجيع على الانخراط في الصفوف المعارضة من قبل عدة مناضلين وذلك لـ:

---

[1] عبد الحفيظ موسم، المرجع السابق، ص 56.

[2] عروسية التركي، المرجع السابق، ص 211

[3] الهادي بكوش، المصدر السابق، ص182 .183

. تكريسها هيمنة فرنسا على السياسة الخارجية والدفاع (لإبقاء على معاهدة باردو)

. تحول مصالح الامن الى نفوذ تونس بعد 20سنة.

. بقاء المحاكم الخاصة والمختلطة لمدة 15 سنة.

. المحافظة على تمثيل الفرنسيين في المجالس البلدية.

. محافظة الموظفين الفرنسيين على مناصبهم وامتيازاتهم والمتعاقدين على عقودهم حتى انتهاء آجالها والتي في أغلبها كانت سارية المفعول لمدة طويلة

. الإبقاء على الوحدة الجمركية او العملة الفرنسية والتمثيل الفرنسي لتونس جمركيا ماليا وتجاري

. الإبقاء على علاقات ثقافية مستمرة تكرس التعبئة الثقافية التونسية لفرنسا وتلغي في أغلبها الموروث الحضاري للشعب التونسي وتكريس ثقافة أخرى لفرنسا.[1]

وبمقتضى اتفاقيات 3 جوان 1955، أصبحت الحكومة التونسية متجانسة تتركب فقط من تونسيين وهذه نقطة أساسية في السيادة الداخلية، وقد كانت حجر الزاوية في المطالب التونسية سواء برنامج بورقيبة ذي سبع نقاط لسنة 1950، أوفي مذكرة الباي 31 أكتوبر 1951، أوفي الشروط الخمسة التي حددها بن يوسف كحد أدنى لقبول الحكم الذاتي في 31 ديسمبر 1954، فبورقيبة إذن يعتبر اتفاقيات 3 جوان 1955 "خطوة إلى الامام"، بما أنها ألغت قرار 10 نوفمبر 1884 الذي يمنح المقيم العام الفرنسي مراجعة ومراقبة قرارات الباي (السلطة التشريعية)، كما أنها ألغت البند الأول من اتفاقية المرسى الذي يجيز الحكومة

[1] محمد ذويب، الفلاقة واليوسفية من خلال المصادر الشفوية، تق بشير اليزيدي، ط1، منشورات سوتيميديا، تونس، 2017، ص 141

الفرنسية قصد إتمام حمايتها، التكفل بإدخال الإصلاحات الإدارية والعدلية والمالية التي ترى فائدة في إدخالها".

كما يعتبر بورقيبة الامتيازات التي أقرتها الاتفاقيات لفرنسا وللفرنسيين، وهي وليدة حاجة تونس إلى فرنسا لضمان آمن البلاد وازدهار وتطور شعبها وهكذا يمكن أن تؤيد ما ذهب إليه نوح لعذاري[1] في كتابه الاتفاقيات التونسية الفرنسية 1955 بحيث يقول: "إن الاتفاقيات التونسية الفرنسية المبرمة في 3 جوان أرادت أن تأخذ بعين الاعتبار هدفين:

أولا: إرضاء رغبة الحركة الوطنية في المحافظة على الذاتية التونسية

ثانيا: وضع ضمانات حقيقية حفاظا على مصالح فرنسا.

ولكن هذه النقطة الأخيرة هي التي ستحد من الأولى بحيث تكون الضمانات لفرنسا وللفرنسيين مسّا من الذاتية التونسية ومن السيادة الداخلية لدولة التونسية ولعل هذا ما جعل بن يوسف ينادي برفضها جاعلا ويسعى بورقيبة لرفعها أجلا.[2]

كلن بن يوسف في أندونسيا يحضر مؤتمر باندونغ الأول حتى بلغته نتائج المفاوضات التونسية الفرنسية ويعتبر هدا المؤتمر هو تتويجا لمرحلة تاريخية هامة قطعتها الشعوب المستعبدة في سبيل إنجاز استقلالها السياسي، وهي تستعد لتخلص من الاستعمار.

فمن الطبيعي ان تظهر اتفاقيات الاستقلال الداخلي المنقوص "لبن يوسف" "كخطوة الى الوراء" أمام المد التحرري في العالم، وهو يقول :"في هذه الساعة التي اعرب فيها مؤتمر باندونغ الذي ضم أمم ثلثي العالم، على تأييده الكامل بإجماع لطلب تحقيق الاستقلال الوطني، وبدا يضغط على الحكومة الفرنسية لقبول هذا الطلب بدون تأخير، يحق للشعب

[1] محامي لدى المحكمة الإستئناف بتونس تناول اتفاقيات 3 جوان 1955 ومن وجهة قانونية، انظر: العروسية التركي، المرجع السابق، ص218

[2] عروسية التركي، المرجع نفسه، ص 218.

التونسي أكثر وقت مضى أن يرفض الحكم الذاتي الصوري الخالي من كل شيء" وشرح بن يوسف معنى الحكم الذاتي الصوري أو "المزيف" :"بأن يبقى سلطة الامن هي الركن الأساسي لقيام الدولة بيد الفرنسيين في جزء من الجنوب التونسي، ومشركة بين التونسيين والفرنسيين في جزء منطقة بنزرت وتينجة فريفيل ومنزل جميل بالشمال، معّ إقرار امتيازات مرهقة لاقتصاد البلاد وإقرار مصالح الفرنسيين، فرض تدخلهم في التعليم العمومي، وجعل اللغة الفرنسية لغة رسمية إلى جانب لغتنا العربية "[1]...

في 10 أكتوبر 1955 حاول الباهي الادغم حال عودته إلى تونس أن يتدخل لدى بورقيبة ليتراجع في قرار طرد صالح بن يوسف خشية الدستوريون الجدد من الانشقاق بإيعاز من أحمد بن صالح وأحمد التليلي، وكانت المساومة إما أن يتراجع بن يوسف عن تقيمه للاتفاقيات على أنها "خطوة للوراء" ويكون جزاؤه رئاسة الحكومة التونسية بعد دفع الطاهر بن عمار على الاستقالة، وهذا أحسب اتفاق بورقيبة والمندوب السامي الفرنسي "سيدو " وإما يكون الطرد.[2]

بعد قرار طرد من الحزب اكتفى الزعيم صالح بن يوسف بالرد ان هذا القرار لا غيا وان القانون الأساسي للحزب لا يعطي للمكتب السياسي حق تجريده من صفته ومسؤولياته كأمين عام. واعتبر ان المؤتمر الذي قرر المكتب السياسي في منتصف نوفمبر 1955 لن يكون مؤتمر شرعيا الا إذا تم استدعاءه من طرف الأمين العام للحزب. وذلك ما كانت تنص عليه بالفعل اللوائح التنظيمية للحزب الحر الدستوري الجديد هو دليل كبير على الموقع المتميز الذي كان صالح بن يوسف داخل القيادة وفي صفوف المناضلين وقرر صالح بن يوسف أن يوصل نضاله مخاطب الشعب التونسي من خلال الصفة الحزبية التي عرف بها

[1] عروسية التركي، المرجع السابق، ص .219

[2] المرجع نفسه، ص 243

وهي الأمانة العامة للحزب معتبرا أن الشريعة من جانبه وإن الشعب سوف يفر منها على المتسلطين.[1]

نذكر الإدارة الاستعمارية بعض الوعود التي قطعتها على نفسها وأعلنت يوم 18 جانفي 1956 أنها تستعد لتوزيع مساحات كبيرة من الأراضي الفلاحية إلى قدماء الثوار، فهي ا ذ ا تمارس الترغيب الى جانب الرهيب، فكل الطرق الكفيلة بإفراغ الحركة الثورية المسلحة من رجالها ومنعها من التطور كانت تستعمل –لكن البؤر الثورية تواصل نشاطها وازداد عددها[2]

في حين جاء القرار المشترك بين الحزب الحر الدستوري وحكومة الطاهرين عمار[3] والإدارة الفرنسية بتونس والمتمثل في ألقاء القبض على صالح بن يوسف وتلبيسه مسؤولية الفتنة والتهم التي تنجر عن ذلك من تأمر على امن الدولة الداخلي والخارجي والتحريض على ارتكاب الجرائم وغيرها من الأعمال التخريبية التي يعاقب عليها القانون شر عقاب [4]

لقد كان من المقترح إلقاء القبض على صالح بن يوسف من 16 جانفي 1956 على خلفية دعوة إتباعه إلى الدخول في "العصيان" نتيجة قرار الحكومة منح عقد مؤتمر الأمانة

---

[1] المنصف الشابي، المصدر السابق، ص. 166

[2] المصدر نفسه، ص، 182

[3] هو الطاهر بن علي بن محمد الصالح المنصر اليزيدي، ولد سنة 1911 بالحامة بتونس، تعلم القرآن ببلدته وفي سنة 1930 التحق بالخدمة العسكرية وبعد الحرب العالمية الثانية انضم إلى الحزب الدستوري كمناضل، كان من بين الأوائل الذين باشروا العمل المسلح في تونس سنة 1953، ويعود له الفضل في إنشاء جيش تحرير تونسي، وهو من بين الأوائل الذين عارضو الاتفاقيات الفرنسية التونسية 1955، واعتبرها خيانة، مما أدى به إلى الالتحاق بالثورة الجزائرية، وبعد تأسيس جيش تحرير المغرب العربي انضم هو وقائد المعارضة صالح بن يوسف مما امكنه من مواصلة كفاحه من خلال التنسيق بين جيش المغرب العربي والعمل المسلح .انظر: حورية ومان، مشاركة الوطنيون اليوسفيون ودعمهم العسكري للثورة التحريرية الجزائرية (1956–1962)، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد05، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة . جامعة جيلالي بونعامة . خميس مليانة، ديسمبر 2017، ص 140

[4] منصف الشابي، المصدر السابق، ص، 183

العامة وقد جاء القرار نهائيا يوم 11 جانفي كرد على طلبه يوم 09 جانفي 1956 كتابيا من السماح له بعقد المؤتمر يوم 18 جانفي.[1]

منذ جانفي 1956 تبدل الخطاب الرسمي لعناصر الديوان السياسي ليصف الاتفاقيات بكونها "منقوصة " حسب ما جاء في التقرير الأدبي الذي قدمه الأمين العام للحزب الباهي الأدغم أمام المجلس المليّ المعقد ايام 21 و22 و23 جانفي 1956، وقد صدر عن هذا المجلس بيان يعلق "إن الأوضاع السياسية لا تنفك تتطور بالبلاد التونسي والعالم تطورا بسير تونس نحو استقلالها ويؤكد أن استقرار النظام لا يتحقق إلا بإدخال تعديلات على الاتفاقيات تجعلها متناسقة مع الواقع التونسي، كما يجدد الثقة في الديوان السياسي لتنفيذ مقررات مؤتمر صفاقس بينما كان المندوب الفرنسي يتابع بقلق عجز وزير الداخلية الفادح على تهدئة الأوضاع في وقت يدعو بن يوسف إلى الثورة الشاملة مدعما "الفلاقة الجدد" [1 2] بقيادة الطاهر الأسود، وعصابات المدن "بقيادة رضا بن عمار ولهذا قرر " روجي سيدو" أن يضع حد للحرب الأهلية والقبض على محركها الأساسي صالح بن يوسف[3]

في 24 جانفي 1956 سقطت حكومة ادغارفور "وجاءت حكومة الاشتراكي" غي مولي" *Guy mollet* [4] الذي تعرض في خطابه الافتتاحي إثناء توليه السلطة في اواخر

---

[1] عروسية التركي، المرجع السابق، ص، 368

[2] الفلاقة الجدد هو الاسم ال ي أطلقه السلطة الفرنسية على العناصر المسلحة في الحركة اليوسفية وقد تبناه الدوان السياسي الذي بدوره كون عصابات ارهابية في مواجهة ما يسمي "بالأمة العامة "وفد لقبها اليوسفيون باليد الحمراء للدوان السياسي. انظر عروسة التركي، فصول تاريخ الحركة الوطنية في تونس المعاصرة، ط1، مكتبة علاء الدين، صفاقس، جوان 2005، ص، 199

[3] عروسة التركي، الحركة اليوسفية في تونس 1955، 1956 المرجع السابق ص 368

[4] سياسي فرنسي ولد في 31 ديسمبر 1905 بمدينة فلارس، الفرنسية، توفي في مارس يوم 3 اكتوبر 1975 ، نشط في الفرع الفدرالي اللأممية العالمية، تولي عدة مناصب عليا في الدولة الفرنسية اهمها رئاسة الحكومة في الجمهورية الرابعة بين فيفري 1956 وجوان 1957. انظر: سعيد بحيرة، المرجع السابق، ص 329.ونظر للمزيد: نجاة عبؤ، المرجع السابق ص، 148، 149

جانفي 1956 بانه لا يرى مناعا في تطور العلاقات التونسية الفرنسية، وفي 26 جانفي 1956، تلك هي ليلة التي كان من المقرر ان يلقي فيها القبض عليه وتمكن الزعيم صالح بن يوسف من الافلات من شبكة الرقابة التي أقيمت حول بيته وفي كل المناطق الحساسة في العاصمة [1]

إثر جلسة عمل بثلاث ساعات عقد المنجي سليم وزير الداخلية وجان فرانسيس مدير مصالح الامن بتونس يوم 27 جانفي، صدر قرار مشترك بين الحكومة التونسية والإدارة الفرنسية يقضي بملاحقة صالح بن يوسف، وتسرب الاخبار الي بن يوسف فتسلل، خفية عبر الحدود الليبية ونجا للمرة الثانية من الوقوع رهن الاعتقال، وهذا ما جعلنا نعتقد بان لبن يوسف عيونا وأذانا داخل الإدارة المركزية وحتى ضمن الديوان السياسي نفسه مثلما لهذا الأخير عيونه المندسة في صفوف الحركة اليوسفية أيضا.

وتعددت الروايات حول عملية هروب بن يوسف الي ليبيا، قول المناضل الحبيب قرار في مذكراته (ص198):" وصادف ان تحدث الزعيم المنجي سليم مع المناضل احمد المستوري بحضور المناضل عزا لدين الفراتي الذي سمى موظفا (هكذا) ساميا بالداخلية وذلك داخل السيارة اي كان يقودها المناضل عبد الحميد بالقاضي الذي شارك مشاركة فعالة مع المناضل رضا بن عما، ولم يلق القبض عليه ... فأدرك عبد الحميد بالقاضي إن الحكومة ستوقف الزعيم، صالح بن يوسف تلك الليلة، وبعد أن تقلهم إلى بيوتهم حاول الاتصال هاتفيا برضا بن عمار الموجود بدار الزعيم صالح بن يوسف آنذاك دون جدوى، وامتطى سيارته وهب إلى دار الزعيم صالح بن يوسف .... اعلم رضا بن عمار بالموضوع،

[1] عز الدين معزة، المرجع السابق، ص 343.

فامتنع الزعيم صالح بن يوسف من الهروب أولا، وذاكرا انه يستحيل ان يأمر الزعيم بورقيبة بإيقافه ثم أقنعه رفاقه بضرورة الفرار فاقتنع..."[1]

إما رواية المناضل الشاذلي البد يري الصادرة في جريدة الصباح بتاريخ 12 أوت 1988 فتقول " لما رجعت الي البيت الزعيم صالح بن يوسف في حدود التاسعة مساء وجدت زوجته السيدة صوفية تنتظرني وأعلمتني إن السيد رضا بن عمار قد هتف لها قبل نصف ساعة من مجيئي واعلمها بأنهم سيلقون القبض على الزعيم وجماعته هذه الليلة ... توجهت إلى الزعيم وتحادثت معه في الامر وجدته غير مقتنع بما قاله رضا بن عمار ... ويعد ذلك اختلقت له كذبة إن القائد الطاهر لسود المؤمن عندي قرر إلا يلحق بمركزه في الجيل إلا بعد اجراء محادثة نهائية مع الزعيم صالح بن يوسف، فانفعل وقرر الخروج معي لا هروبا إلقاء القبض عليه ولكن لتوبيخ الطاهر لسود لتقاعسه".

وتوجد رواية أخرى لطاهر لسود ...[2] فرّ صالح بن يوسف من تونس يوم 28 جانفي 1956 متجها الى الي ليبيا ومنها الى القاهرة وتعرض اتباعه الى العديد من المحاكمات، وفي الوقت ال ي كانت تونس تشهد فيه ما يشبه الحرب الاهلية، واصل الوطنيون التونسيون بزعامة الحبيب بورقيبة نشاطهم اتجاه فرنسا لتعديل اتفاقية 03 جوان نحو الاستقلال التام، فقد إعتبره مؤتمر صفاقس ان اتفاقية 03 جوان 1955 مرحلة هامة في طريق الاستقلال [3]

نفس التاريخ السابق 28 جانفي 1956 داهمت قوات الامن مقر الامانة بالعاصمة، كما وقع تفتيش منزل صالح بن يوسف بحثا عنه لكنه اختفى، ولم يعلن عن وجوده بالتراب

[1] عروسة التركي، المرجع السابق، ص 368-369

[2] المرجع نفسه، ص369

[3] خليفة الشاطر واخرون، المرجع السابق، ص 174

الليبي[1] أصدر الحبيب بورقيبة في نفس التاريخ السابق قرار يقضي بإلقاء القبض على اليوسفيين، وهنا وجب التأكد على انه وحتى قبل هذا القرار تعرض أنصار الامانة العامة الى عدة مضايقات واعتداءات واغتيالات ذهب ضحيتها عدد منهم[2] الرأي العام التونسي بات مقتنعا بنقص الاتفاقيات ولاسيما بعدما كشفت عنه الاحداث الأخيرة من عجز حكومة الحكم الذاتي في ميداني الامن والقضاء. وظهر "أنصار الاتفاقيات" أنفسهم وكأنهم مقتنعون بما يقول بن يوسف من "أن السياسة الداخلية التي تمنحها الاتفاقيات لتونس هي سيادة منقوصة"، فلا بد إذن من إعادة النظر في هذه الاتفاقات[3] حل بن يوسف بليبيا يوم 01 فيفري بمساعدة بعض المقربين اليه ومنحه السلط الليبية فورًا حق اللجوء السياسي [4]

فتح التفاوض من جديد حتى الاستقلال التام:

في 02 فيفري سافر بورقيبة الي فرنسا بسبب تطور الاوضاع لمحاولة ايجاد حل نهائي يتمثل في حصول تونس على الاستقلال لها التام [5]

حيث تعدد اللقاءات بينة وبين اعضاء الحكومة الفرنسية وفي03 فيفري 1956التقي بورقيبة برئيس الحكومة "قي موللي " بحضور المندوب السامي لفرنسا بتونس روجي سيدو"، ووكيل وزارة الخارجية المكلف شؤون المغرب وتونس آلان سافري "Savary. A" للتباحث حول أطر جديدة للعلاقات الفرنسية التونسية، وكانت ادوات ضغط بورقيبة علي الحكومة الفرنسية تتمثل في قرارات المجلس المليّ بأن الاتفاقيات الفرنسية التونسية المبرمة في 03

[1] عروسية التركي، المرجع السابق، 369

[2] محمد ذويب، المرجع السابق، ص 161

[3] عروسية التركي، المرجع السابق، ص 370

[4] المنصف الشابي، المصدر السابق، ص 183

[5] محمد الصافي، الحركات التحررية المغاربية اشكال الكفاح السياسي والمسلح (1942-1956)، دار إفريقيا الشرق، المغرب، 2017، ص 157

جوان قد تجاوزتها الاحداث وعلى فرنسا أن تمنحه عن طريق التفاوض ما يريد ان يفتكه خصمه (بن يوسف) بالقوة. وربما هذا ما جعل الصحافة الفرنسية تعلق على زيارة بورقيبة الي باريس بانه يطلب من هذه الأخيرة للاستجابة لمطالب بن يوسف باسمه هو شخصيا، إلى جانب ما وعدت به فرنسا ملك المغرب، فطالب بتطبيق المعاملة بالمثل. وهكذا فرض بورقيبة علي فرنسا، ان تختار بين ان تفرض ارادتها او تفرض عليها ارادة الاخرين، وهذا حسب وضعها الداخلي والخارجي وضعف قدراتها المادية والعسكرية إذ تستجوب الحرب نفقات إضافية ثقيلة، فما كان عليها ألا ان تقبل " بأخف الضررين" حسب عبارة بورقيبة، وذلك عبر فتح التفاوض من جديد بينها وبين تونس (27 فيفري 1956).

ومن جهة أخرى أصدرت الحكومة الفرنسية في 07 فيفري بيانا عبرت فيه عن استعدادها لفتح المفاوضات من جديد مع الحكومة التونسية إذا ما أعرب الباي عن رغبته في ذلك.

26 فيفري 1956 سافر الوفد التونسي المفاوض الى فرنسا قصد التفاوض" من أجل دفع البلاد التونسية نحو الاستقلال في نطاق التكافل الحرّ والمنتظم القائم على التضامن والصداقة بين الشعبين الفرنسي والتونسي"[1] وكل هذه الاستعدادات داخل وفد حكومي تونسي في مفاوضات رسمية ابتدأت يوم 29 فيفري، واشتد الخلاف من فرنسا وتوترت أجواء المفاوضات، ففرنسا تلح على ربط الاستقلال بالتكافل وتونس ترفض ذلك. [2]

وهذه المفاوضات افتتحت بالكاي دورساي بعد أن تأجلت يومين، بحضور رئيس الحكومة الفرنسية " قي موللي " ووزير الشؤون الخارجية كرستيان بينو pineau وكاتب الدولة للشؤون المغربية والتونسية " ألان سفاري" في ظل خشية الفرنسيين من حرب هندية

[1] عروسية التركي، المرجع السابق، 371 . 372 . 373.

[2] الهادي بكوش، المصدر السابق، ص 202

بالجزائر حسب بوردي *Bourdet* الذي يرى الجزائر دون حرب ستكون فرنسية عبر ألان سفاري *savry* أمام المجلس الوطني الفرنسي عن خطورة الوضع في تونس بعد التحاق صالح بن يوسف بطرابلس، بيمنا بدأ المندوب السامي الفرنسي، روجي سيدو *Seydoux* أكثر قلقا نتيجة توزيع المناشير القائد الطاهر لسود الداعية ألى الشروع في عمل مسلح ضد القوات الفرنسية في تونس في نطاق وحدة الكفاح عند العدو المشترك في شمال إفريقيا. وانطلقت المفاوضات التونسية حين اوشكت المفاوضات المغربية الفرنسية الجارية في سبيل سانت كلود *celle saint cloid* على الانتهاء.[1]

كانت المفاوضات تتغير أمام تمسك الجانب الفرنسي بالإبقاء على معاهدة باردو، بينما كان الوفد التونسي رافض لكل مقترح يكون دون ما تتحقق للمغرب، وسقطت المفاوضات في مأزق يوم 17 مارس 1956 حول ثلاث نقاط:

1- طالب الوفد التونسي باعتراف فرنسا للحكومة التونسية بحق ممارسات كل مسؤولياتها في ميدان الدفاع القومي والامن والشؤون الخارجية.

2- طالب الوفد الفرنسي ان يقيم تعاونا عسكريا وثيقا بين جيش الغد التونسي بين الجيش الفرنسي.

3- طالب فرنسا الحكومة التونسية ان تسمح للجيوش الفرنسية بحق التصرف بكل حرية في ميناء بنزرت الكبير وبمراقبة الامن خاصة في الوقت الذي يوجد فيه تهريب الأسلحة.[2]

[1] عروسية التركي، المرجع السابق، ص 373

[2] المرجع نفسه، ص 374

كان إعلان استقلال تونس التام في 20 مارس 1956 إيذانا لبعض "عصابات" المقاومة المنضوية تحت جناح اليوسفية لوضع حد لثورتها واستسلامها للسلطة[1]، وتم التوقيع على هذا الاتفاق اعترفت فيه فرنسا علنا باستقلال تونس، وقد تمكن بورقيبة بعد ذلك التخلص من كل معارضيه[2] وجملة ما نص عليه برتوكول 20 مارس ووقعه عن فرنسا كريستيان بينو وعن تونس الطاهر بن عمار التأكيد على المسائل الخطيرة التالية:

. الاعتراف الصريح باستقلال تونس في كنف التكافل مع فرنسا.

. تعديل نصوص اتفاقيات 03 جوان المتعلقة بالاستقلال الداخلي او الغاؤها بما يتناسب مع الوضع الجديد.

. التوصل الى تنظيم تعاون بين فرنسا وتونس في ميادين المصالح المشتركة خاصة في الشؤون الخارجية والدفاع وتحديد أشكال الاعانة الفرنسية للجيش الوطني.[3]

بعد امضاء بروتوكول 20 مارس 1956، انصرف بورقيبة مباشرة إلى رسم ملامح النظام الجديد لتونس الجديدة فتوالت الاغتيالات وعمليات التعذيب ثم نظمت أثر ذلك عدة محاكمات جائرة وخاطفة لا يستند جلها إلى أي جانب قانوني ولم يتمتع فيها اليوسفيون بحق الرد ولا بحق الدفاع ولا حتى بأدنى شرط المحاكمة العادلة فكان فيها الخصم هو ذاته القاضي، محاكمات اتخذت طابع سياسي تصفوي أراد من خلالها بورقيبة التخلص من خصومه وافراغ الساحة السياسية لصالحه.[4]

[1] عميرة علية الصغير، المرجع السابق، ص 90

[2] د م، اتحاد المغرب العربي الوحدة التاريخية والجغرافية، المرجع السابق، ص 71

[3] الحسين بن عيسى، البورقيبة والهوية صراع المشاريع، ط1، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس 2015، ص 215.

[4] محمد ذويب، المرجع السابق، ص 161.

"وستضع الاتفاقيات بين فرنسا وتونس صيغ المساعدة التي ستقدمها فرنسا لتونس في انشاء الجيش التونسي" والبروتوكول نص على ان المفاوضات ستستأنف يوم 16 أفريل 1956 " قصد الوصول في اقصى الحالات الممكنة وطبقا للمبادئ المقررة في هذا البروتوكول لأبرام الوثائق الضرورية لوضعها موضع التنفيذ" واعتبر التونسيون البروتوكول علامة نهاية النظام الاستعماري، بالنسبة لهم قد انجز الاستقلال التام ولكن بالنسبة لبن يوسف اعتبر هذا البروتوكول خطوة متقدمة على الاتفاقيات إلا انه صرح قائلا:" إني في هذا الضرف التاريخي الحاسم أدعو شغبنا العربي الابي الى الحذر واليقظة ومضاعفة الجهود ومواصلة الكفاح الشريف لتقويض صرح الاحتلال الأجنبي، لأنه لا معني للاستقلال مادامت جيوش العدو الاستعماري ترابط بأرض الوطن فتكون خطراً دائما يهدد في كل حين مصير الشعب ومقومات السيادة ومقدرات البلاد".

ومثير الانتباه تبني بورقيبة مطلب الجلاء بسرعة مذهلة، ففي 18 جوان 1956 نادى بورقيبة في خطابه بتطاوين بضرورة جلاء القوات الفرنسية عن البلاد قائلا:" إن الاستقلال يهدف إلى جلاء القوات الأجنبية عن أرضنا.[1]

كما صرح في 14 جويلية 1956:" بأن تونس مستعدة لمواصلة الكفاح في سبيل دعم استقلالها مهددا باستمرار مقاطعة المفاوضات مالم تعدل فرنسا من موقفها من قضية الجلاء لكن المسؤول الفرنسي لوزير رفض التفاوض لان هدفهم الجلاء وان يلغو هدفهم الأسمى الذي هو الاستقلال التام أو السيادة الكاملة.

[1] عروسية التركي، المرجع السابق، ص 378 . 379

ويظهر لنا بورقيبة وكأنه يتناغم مع بن يوسف ويظهر أيضا تحول ضميره اليقض ودفع به الى ترميم نقائص الاتفاقيات والبرتوكولات الجديدة المبرمة بين تونس وفرنسا (الاستقلال بالتكافل).

ويبدو أن بروتوكول 20 مارس 1956 رغم نصه مبادئ عامة ولم يحل أي مشكل، وبعد النجاح الباهر الذي حققته الجبهة القومية المتركبة من الحزب الدستوري التونسي الجديد والاتحاد العام لشغل وغيره في 25 مارس 1956 تشكلت حكومة تونسية جديدة يوم 14 أفريل 1956.

في 30 ماي 1956، الغت الحكومة كل الامتيازات الجبائية والحصانة أمام القضاء بالنسبة لأفراد العائلة المالكة ووقعت تسويتهم بسائر المواطنين[1]، ثم إن البايات (كانوا صوريين منذ 1881) قد وابعدوا بعد بضعة أشهر وأعلن عن قيام (النظام الجمهوري يوم 25 جويلية 1957) ولغاء الملكية من طرف بورقيبة وأخذ هو ورفقاؤه بيدهم رسميا مقاليد الحكم بالبلاد ومصيرها.[2]

[1] عروسية التركي، المرجع نفسه، ص 380 . 382

[2] محمد الهادي الشريف، المصدر السابق، ص 138

الفصل الأول:

التعريف بشخصية صالح بن يوسف.

المبحث الأول: المولد والنشأة.

المبحث الثاني: المسار التعليمي.

المبحث الثالث: بعض ما يقل عن شخصية صالح بن يوسف.

المبحث الرابع: وفاته (اغتياله).

المبحث الأول: المولد والنشأة.

هو صالح بن سليمان بن يوسف تضاربت التخمينات في تحديد تاريخ ولادته فبعضها يجعله من مواليد 11 أكتوبر 1909. في حين يذهب البعض إلى أنه ولد في 01 أكتوبر 1907 بمغراوة، وهي قرية تبعد أربعة كيلومترات عن ميدون، شرقي جزيرة جربة، أما الرواية الشفاهية فتؤكد أنه من مواليد مارس 1906 في عائلة ميسورة.[1] وحسب وثائق الأرشيف الفرنسي تذكر الدكتورة عروسية التركي أنه من مواليد 1909.[2]

وتقع معراوة مرتفع يطل المرء منه على سهول جربة وبساتينها الجبلية، شب صالح بن يوسف في بيئة متفتحة ووسطها محافظ، حيث تعلم حرفة الفلاحة والزراعة كما كانت عائلته محافظة على تقاليدها وعاداتها وكانت لها مكانة مرموقة في المجتمع التونسي.[3] فاحتضن هذا الإطار الواسع دفق أحاسيسه الأولى.

كان يقف أحيانا مع إخوته الصغار وأبناء عمومته عند الغروب يتأملون المنارة الكبيرة التي تخترق أشعتها مسافات بعيدة في البحر الأبيض المتوسط فيهتدي بها الملاحون، وكانت أنوار المنارة تضيء في دورتها مرتفعات الجزيرة، ومن بينها قرية مغراوة. وكانت عائلة بن يوسف يتمتع بسمعة طيبة في جزيرة جربة كما في بقية أنحاء البلاد، كما اهتمت أجيالها المتلاحقة بتطوير أعمالها التجارية وممتلكاتها العقارية،[4] لأنه ذا قدر كبير من الثراء. فكان والده قاسم بن يوسف يملك خمسة مزارع مجهزة ببيوت للسكن،[5] وكل مستلزمات العيش في الأرياف، وعند وفاته ترك لأبنائه ثلاثين ألف شجرة زيتون ومعصرة، أما المنازل فكانت تنتج

[1] عروسية التركي، المرجع السابق، ص 86-87.

[2] عروسية التركي، صالح بن يوسف جريمة دولة، شريط وثائقي بثته قناة الجزيرة الوثائقية، 26.09-2014

[3] نجاة عبو، المرجع السابق، ص 52.

[4] المنصف الشابي، المصدر السابق، ط2، ص 17.

[5] نجاة عبو، المرجع السابق، ص 52.

جميع أنواع الغلال وخاصة منها تفاح جربة المعروف، والذي كان منتجوه من الجزيرة يجمعون في ميناء أطلق عليه مرسى التفاح، ويكدس الفلاحون انتاجهم هناك فتأخذ السفن ليباع في اسطنبول بتركيا، ثم تحولت وجهته شيئا فشيئا باتجاه تونس، ومنها كانت تأخذه البواخر الفرنسية إلى مرسيليا.[1]

اشتهرت عائلته بأعمالها التجارية من مواد عطرية وغذائية وغيرها جمعت بين الفلاحة والتجارة وتعاطي بعض الصناعات التحويلية (معصرة زيتون–شركة صيد بحري) ...[2]

وكان قاسم بن يوسف من "العشرة الكبار" وهو مجلس رسمي يجالس الباي والوزراء ويتألف من نواب عن أهم الصنائع والحرف يجمعه الباي للنظر في شؤون السوق وأوضاع التجارة.

ويمثل السيد قاسم بن يوسف في هذا المجلس جماعة العطرية الذي يهتمون بترويج البضائع جملة وتفصيلا وجماعة السوقية، [3] وهم تجار مختصون بإدخال بعض الإضافة على البضائع قبل بيعها [4]فيملحون الزيتون وغيره من المنتوجات الفلاحية ويصنعون الصابون ويملحون الأسماك إلخ ... وقد حافظت الأجيال على هذه الثروة وطورتها، ثم جاء علي بن يوسف فأنشأ معصرة ثانية من النوع الذي كان يقام تحت الأرض حفاظا على جودة المنتوج، وطور علي بن يوسف التوجه التجاري للعائلة فأسس شركة للصيد البحري تدر عليه مالا كثيرا، كما طور الأعمال التجارية للعائلة بتونس فكان مع أخيه محمد يتقاسمان المهنة

[1] المنصف الشابي، المصدر السابق، ص 18.

[2] حميدة بن علي بن عمارة، صالح بن يوسف جريمة دولة، المرجع السابق.

[3] حميدة بن علي بن عمارة، صالح بن يوسف جريمة دولة، المرجع السابق.

[4] هم تجار مختصون بإدخال بعض الإضافات على البضائع قبل بيعها، فيملحون الزيتون وغيره من المنتوجات الفلاحية ويضعون الصابون ويملحون الأسماك ... إلخ، أنظر المنصف الشابي، المصدر السابق، ص 18.

نصفين، يقيم أحدهما في تونس لمراقبة العمل التجاري والثاني في جربة لمتابعة الأعمال الفلاحية والصيد البحري.[1]

كان يتميز "صالح بن يوسف" عن "بورقيبة لحبيب" أنه أنشأ في أسرة غنية تمتهن التجارة وتعتبر عائلته من أعيان مدينة جربة التونسية[2]، كان أبوه تاجر جملة في المواد الغذائية والمواد العطرية وكان أخوه من شيوخ جامع الزيتونة الشيء الذي جعله يلتحق مبكرا بالعاصمة وذلك لإتمام تعليمه في المدرسة التقليدية وفي الكتاب.[3]

ويرى "عمار السوفي" أحد مؤرخي الحركة الوطنية التونسية أن أبويه حرصا أن يعلماه تعليما حصريا وأن يحافظ عن هويته الوطنية. نشأ بن يوسف منشأ متوازيا يجمع بين الهوية والحداثة.[4]

ويوجد اختلاف في رؤى بعض المؤلفين عن نشأة صالح بن يوسف وسوف نذكر هذا لأنه كان لهذه العائلة إشعاع في جربة وفي تونس العاصمة، فمن طبيعة الجرابة أن ينتقل الرجال وحدهم إلى العاصمة، أو إلى أي مدينة أخرى للعمل، في حين تمكث النسوة في المنزل تعتني بالأطفال والغراسات تحت مراقبة وحماية الجد، بينما لا يعود الوالد إلى جربة إلا لبضعة أيام بعد شهرين أو ثلاث أشهر، وبذلك تبقى الصلة قائمة بين الابن المهاجر والتاريخ وبيئته الأصلية، وهكذا يمكن أن نقول أن صالح قد تربى في ضل جده في البيت الكبير بين العائلة بجربة.[5]

---

[1] المنصف الشابي، المصدر السابق، ص 20.

[2] عميرة علية وعمار السوفي، صالح بن يوسف جريمة دولة، المرجع نفسه.

[3] المرجع نفسه.

[4] عمار السوفي، صالح بن يوسف جريمة دولة، المرجع السابق، جوان 2012.

[5] عروسية التركي، الحركة اليوسفية في تونس، 1955-1956، المرجع السابق، ص 87.

كان ينحدر من أسرة عريقة في البلاد التونسية، وقدم جده الأول ضمن القياد الذين أرسلهم الخليفة هارون الرشيد بمقاومة الانتفاضات التي كانت تقوم بالمغرب من جهة ولتعزيز سياسة العباسيين التي تبناها الأغالبة من جهة أخرى، وعندما استتب الأمر بالقيروان وما حولها، وصار هذا الجد وأحفاده من المقربين لأمراء بن الأغلب، بعثه أحدهم إلى الجنوب التونسي، الذي صار مركزا هاما للمناوئين لدولتهم، فاستقر بقرية قرماسة بولاية تطاوين الآن، وجعلها مركزا تنطلق منه توجيهات حركته، وتنظم فيه فصائل أعوانه لمطاردة الخارجين على طاعة أميره، واستطاع التحكم في عدة مناطق من الجنوب، ما عدا جزيرة جربة المتحصنة بالبحر، التي كانت تحت تأثير الدولة الرستمية الإباضية.[1]

وبمرور الزمن، تمكن أحفاد هذه الأسرة (أسرة بن يوسف) من التألق في ميادين العلم ونشر الدعوة للتمسك بالدين الاسلامي الحنيف، وتأسست بفضلهم الزاوية التي مازالت قائمة في قرية قرماسة التي تخرج منها عدد كبير من المشايخ، ومنذ ثلاث قرون تقريبا رحل بعض أفرد أسرة بن يوسف من منطقتهم واستقروا بجزيرة جربة، فتأقلموا ببيئتها واندمجوا في مجتمعها وتعاطوا مهنة التجارة، وكان من ضمنهم أحد المنحدرين من هذه العائلة الحاج "سليمان بن يوسف" والد "صالح بن يوسف" والد صالح بن يوسف.[2]

وبحكم طبيعة الجرابة،[3] ترعرع صالح بن يوسف في أحضان عائلة جده بالبيت الكبير بين العائلة في جربة وهذا رأي آخر أيضا.[4]

---

[1] عبد الحفيظ موسم، المرجع السابق، ص 76.

[2] المرجع نفسه، ص 76.

[3] من طبيعة الجرابة أن ينتقل الرجال وحدهم إلى العاصمة أو إلى أي مدينة أخرى للعمل، في حين تمكث النسوة في المنزل للعناية بالأطفال تحت مراقبة وحماية الجد، بينما لا يعود الوالد إلى جربة إلا لبضعة أيام، فتبقى بذلك الصلة قائمة بين الابن المهاجر وبيئته الاصلية، ومنه نستنتج أن صالح بن يوسف تربى في ظل جده ببيت العائلة الكبيرة بجربة، للمزيد أنظر: عبد الحفيظ موسم، المرجع السابق، ص 76.

[4] عبد الحفيظ موسم، المرجع نفسه، ص 76.

المبحث الثاني: مساره الدراسي.

تعلم صالح بن يوسف كغيره من أبناء تونس مبادئ القراءة والكتابة في كتاب القرية فأرسل إلى جامع "حاضر باش" وداوم على حفظ القرآن الكريم وعلى تعلم مبادئ الشريعة الإسلامية، ولما بلغ الثامنة من عمره قرر جده إرساله إلى العاصمة بصحبة أخيه "البشير" لمزاولة التعليم العصري بالعاصمة، فما كان يرضى أن يقتصر مثل الأجيال التي سبقته على الغوص في عالم التجارة.[1]

التحق صالح بن يوسف بالمدرسة الابتدائية في ساحة التريبونال، وتحصل على شهادة التعليم الابتدائي سنة 1922م، ثم التحق بمعهد كارنو بالعاصمة.[2] وبما أنه لم يكن للغة العربية نصيب هام في ذلك المعهد طلب "صالح بن يوسف" من والده أن يساعده على تدارك الأمر.

انتدب له الشيخ "محمد مناشو" وهو آخر شيوخ جامع الزيتونة وله ثقافة في اللغة العربية، فاهتم به اهتماما كبيرا لما لاحظه فيه من نباهة وذكاء، وكان يتردد على بيت بن يوسف في الأوقات التي يعود فيها التلميذ "صالح بن يوسف" من المدرسة، فيحاوره في الأدب واللغة والفقه، وفي بعض المواد العلمية كالرياضيات والهندسة.

كان صالح بن يوسف مهتما بمعرفة عادات وتقاليد بلاده، فقد كان دائم التساؤل لمعرفتها بدقة ويرجع احتكاكه بالمتقدمين في السن والحوار معهم في هذا المجال، فأبدى من صغره تمسكه بتراث بلده وبهويته الوطنية العربية الإسلامية.[3]

---

[1] المنصف الشابي، المصدر السابق، ص 19.

[2] معهد كارنو، هي مدرسة فرنسية أنشأت حديثا بغرض الحد من تأثير جامع الزيتونة المعمور والمعهد الصادقي: أنظر المنصف الشابي: المصدر نفسه، ص 19.

[3] نجاة عبو، المرجع السابق، ص 53.

كان صالح بن يوسف يشده الحنين إلى جربة ولكن المسافات البعيدة كانت تمنعه من العودة، ولم يتيسر له ذلك سوى مرة واحدة عام 1925م لما رافق أخاه "البشير بن يوسف" بصحبة السيد عبد العزيز العربي وهو أحد أصدقاء والده، ويذكر السيد "البشير بن يوسف" أن أخاه "صالح بن يوسف" كان ولوعا بركوب البغال، فكثيرا ما كان يمتطيها لزيارة ميدون أو حومة السوق التي تبعد عن منزل "صالح بن يوسف" 24 كلم.

عاد "صالح بن يوسف" إلى مقاعد "الليسي كارنو" يتطلع إلى ما أحرزه العالم الغربي من تقدم في مجالات العلوم، لكن بأقدام ثابتة على أرضية التراث والهوية، كانت تلك الصائفة التي قضاها بجربة بسن المراهقة حيث يناهز عمره الثمانية عشر سنة أول منعرج في حياته فهم من خلاله أن الانفتاح على المعارف وعلى العلوم لا يتنافى أبدا مع التمسك بالهوية الوطنية. [1]

كما كان يتابع الدروس الليلية في مدرسة العطارين، حيث تتلمذ على يدي الأساتذة: الصادق الزمرلي والأصرم والفرنسيين (*Marcir* و *Murat*) واختتم هذه الدروس بشهادتي البريفي (*Brevet*) والدبلوم (*Diplôme d'arabe*).[2]

وكان تعليمه متواصلا في "الليسي كارنو" دون أي رسوب بل يتفوق في بعض الأحيان فنال شهادة الباكالوريا سنة 1929، وفي تلك الصائفة وقبل مغادرته أرض الوطن لمواصلة تعليمه على مقاعد السوربون في باريس،[3] أراد والده تكليفه بمعينة أخيه "البشير" بتسيير أحد مخازن السلع التابعة له بالقرانة وذلك لغرض الاستعانة بهما وتعويدهما على تحمل المسؤولية. فتقاسما الفترة الصيفية وعملا بنجاح وحصلا على مصروف جيب محترم للغاية

[1] الحبيب نويرة، الذاكرة الحية ذكريات عصفت بي، (د ط)، دار سراس للنشر، تونس، 1992، ص 120

[2] عروسية التركي، المرجع السابق، ص 87.

[3] لزهر بديدة، دراسات في تاريخ الثورة الجزائرية وأبعادها الإفريقية، ط1، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 254.

وكانا يعملان بهذه الطريقة في صائفة كل عام وكان لصالح بن يوسف بعض الأصدقاء يخرج معهم أحيانا للتجول بضواحي العاصمة أو للعوادة أو سينما ابن كاملة. وفيما عدا ذلك فإنه لم يبدأ أي اهتمام باللعب بل كان يخصص وقتا طويلا للمطالعة باللغتين العربية والفرنسية، فيتناول الموضوعات الأدبية والفكرية والقصص والصحف السياسية.[1]

صار يهتم بمطالعة الصحف الوطنية، ويحضر بعض الندوات الفكرية والاجتماعات التي ينظمها أعضاء اللجنة التنفيذية للحزب الحر الدستوري التونسي، وازداد حماسه الوطني مع نخبة من زملائه، خاصة بعدما قررت الكنيسة الكاثوليكية الفترة الممتدة من07 إلى 13 ماي 1930 عرف بالمؤتمر الأفخارستي،[2] وبعدما أعلنت فرنسا أيضا عن تنظيم احتفالات خمسينية الحماية الفرنسية على تونس سنة 1931.

وللإشارة فإن هذه الاستفزازات التي أقدمت عليها السلطات الاستعمارية، قد لقيت معارضة شديدة من طرف الشعب التونسي، كما أثارت هيجانا صاخبا وسط العديد من الوطنيين المثقفين من أمثال "صالح بن يوسف" الذي تعرض بهذه المناسبة إلى الزج في السجن رفقة نخبة أصدقائه المتحمسين للنضال الوطني، وبعد إطلاق سراحهم أدرك بن يوسف أن العالم يتكون من الأقوياء والضعفاء تماما مثلما هو الحال في الغاب، وبالتالي فلا سبيل إلى القوة إلا بتحرير قوى الشعب المقيدة، ولا سبيل إلى الكرامة إلا بتحرير الوطن من قبضة الاستعمار، حيث ظلت هذه الأفكار تراوده وتخالج فكره وهو على أهبة الاستعداد

[1] المنصف الشابي، المرجع السابق، ص 22.

[2] اعتبر صالح بن يوسف وغيره من الوطنيين التونسيين أن تنظيم هذا المؤتمر في تونس، هو تحد كبير للشعور الديني والوطني للشعب التونسي، باعتبار أن الكنيسة قررت إيواء عدد من الرهبان المشاركين في هذا المؤتمر بإحدى البيوت التابعة لها في نهج القنطرة على مقربة من نهج الحلفاويين حيث تسكن عائلة بن يوسف (زنقة الرياض)، فكان الرهبان يمرون بين الناس حاملين صلبانهم على صدورهم وظهورهم، والمارة يتوافدون وينظرون لجرأة هذا التحدي الصريح، الأمر الذي دفع بالعديد من السياسيين والمثقفين التونسيين إلى الخروج في مظاهرة حاشدة بمدينة تونس، رافعين شعارات وطنية معادية للاستعمار ومدافعة عن الدين الإسلامي. أنظر: منصب الشابي، المرجع السابق، ص 23-24.

لمغادرة الأهل والوطن متجها نحو فرنسا لاستكمال دراسته، مقتنعا في ذلك بأنه ليس في الأمر تناقض، إذ لابد من التسلح بسلاح العدو ومقاومته.[1]

وقد تعرف "صالح بن يوسف" قبل رحيله بالطاهر صفر، وأعجبه علمه وفكره الواسع كما أبهرته معرفته الشاملة لكل المجالات، وازداد احترامه له ما كان يرى فيه من الحماس للقضية الوطنية ولعمق مشاعره المخلصة للشعب، فتوثقت العلاقة بينهما. وعندما وصل "صالح بن يوسف" إلى باريس ظل على صلة به عن طريق المراسلات. فكان الطاهر صفر[2] يبلغه كل ما يحدث في تونس وداخل الحركة الطلابية التونسية وكذلك لدى طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا.[3] وكبر دوره في تلك الأوساط إلى أن تمكن من الارتقاء إلى قيادة الجمعية برتبة أمين عام مساعد بينما تولى أحمد بن ميلاد الأمانة العامة.[4]

كما اهتم بن يوسف من السنة الأولى لإقامته في باريس بتأسيس أول شعبة دستورية للحزب، وكان ذلك سنة 1931، الأمر الذي يساعده على الاتصال بعدد كبير من طلبة الجزائر والمغرب الأقصى، فترعرعت بذلك فكرته الوحدوية بين بلدان المغرب العربي وازدادت قناعته بأنه لا حل لمشكلة هذه البلدان (الجزائر-لتونس-المغرب) إلا بالتخلص من

---

[1] عبد الحفيظ موسم، المرجع السابق، ص 78.

[2] الطاهر صفر: ولد سنة 1830م، درس بالصادقية ومعهد كارنو، وفي كلية الحقوق بباريس، عمل بالمحاماة منذ سنة 1928، وهو من مؤسسي الحزب الدستوري الجديد، عمل في الصحافة وترأس تحرير جريدة العمل سنة 1934م، وساهم في إدارة وتحرير العديد من الصحف الوطنية باللغة الفرنسية، توفي سنة 1942م. ينظر: نجاة عبو، المرجع السابق، ص 54.

[3] جمعية طلبة شمال إفريقيا: يعود اسمها إلى الشاذلي خير الله الذي كان عضو في إدارة نجم شمال إفريقيا في باريس تهدف إلى تقديم المساعدات المادية للطلبة المغاربة، غير أن دورها بدأ يتلاشى منذ عام 1939 بسبب ظهور الخلافات الداخلية بين أعضائها، ينظر: مؤمن العمري، شعار الوحدة المغاربية ومضامينه في المغرب العربي أثناء الكفاح الوطني، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف عبد الكريم بوصفصاف، جامعة منتوري قسنطينة، 2009-2010، ص 33.

[4] المنصف الشابي، المصدر السابق، ص 24.

الاستعمار[1]، كما تحصل صالح بن يوسف على الأستاذية في الحقوق والعلوم السياسية سنة 1933-1934.[2]

[1] عبد الحفيظ موسم، المرجع السابق، ص 79.

[2] عروسية التركي، المرجع السابق، ص 87.

المبحث الثالث: نشاط صالح بن يوسف السياسي ما بين 1934 . 1954

صالح بن يوسف والمنظمات النقابية:

أصبح صالح بن يوسف المسؤول الأول على سياسة الحزب الدستوري الجديد فذاع صيته واشتهر في كامل الأنحاء، كما كان له دور فعال في بعث نقابات وطنية عديدة كالاتحاد العام التونسي للشغل، [1] ومنظمات أخرى كانت بمثابة عقد للحزب بقيادة النقابي "فرحات حشاد"، [2] فعمل بن يوسف منذ توليه رئاسة الحزب في 1946م، على تنظيم خلايا الحزب تنظيما عصريا، وكون له فروعا في كل أنحاء الوطن على تنظيم النقابات العمالية، بهدف التقرب من الشعب، [3] وذلك من خلال جمع الفلاحين التونسيين فجمعهم في مناسبات عديدة وانتهت هذه اللقاءات إلى بناء الاتحاد العام للفلاحة التونسية، لأن قيادة الحزب لم تكن قوية بما يكفي لتواجه الاستعمار بمفردها، [4] فكانت مضطرة للتحالف مع أكبر عدد ممكن من الفئات والشرائح والطبقات الاجتماعية الأخرى، وقد كان الحزب وراء بعث عدة منظمات نقابية وبتأثير من صالح بن يوسف شخصيا، فاستطاع بشخصيته المحنكة مع قدرته الفائقة على قيادة المناضلين إلى جانب "المنجي سليم" بانضباطه وعمله الدؤوب، إذ

---

[1] شرع العمال التونسيين في تنظيم صفوفهم في نقابات للدفاع عن حقوقهم ورفع مستواها في سنة 1922، بقيادة محمد علي القابسي، فكون فكرة حركة تحت اسم الجامعة العامة للعمل التونسي سنة 1924م، فقام بإضراب في ميناء بنزرت ثم تعرض محمد علي للاعتقال والنفي عام 1925م، ثم تأسست الجامعة العامة للعمال التونسيين من جديد عام 1937م، لكن أعضائها تعرضوا للاعتقال سنة 1938م، من بينهم الزعيم النقابي العالمي فرحات حشاد سنة 1944م، ينظر: علي البلهوان، المصدر السابق، ص، 80-81.

[2] فرحات حشاد: ولد في 02 فيفري 1914 بقرية العباسية، درس التعليم الابتدائي، تحصل على شهادة ختم الدروس في 1928، وظف سنة 1930م، كقابض بالشركة التونسية للنقل بالساحل، وانضم سنة 1936م لنقابة موظفي الشركة التابعة للاتحاد الإقليمي للكونفدرالية، تمكن فرحات حشاد من تأسيس الاتحاد العام التونسي للشغل في 20 جانفي 1946م، والذي قاده كأمين عام إلى غاية اغتياله في 05 ديسمبر 1952م، ينظر: أحمد القصاب، تاريخ تونس المعاصر (1881-1956)، تع: حمادي الساحلي، ط1، الشركة التونسية للتوزيع، 1986، ص، 385-386.

[3] الطاهر عبد الله، مصدر سابق، ص 74.

[4] منصف الشابي، المرجع السابق، ص 105.

تمكن هذا الثنائي من تكوين منظمات اجتماعية عديدة (منظمات سياسية متخفية بصفة نقابات)، ونذكر منها:

❖ **الجامعة العامة للفلاحة التونسية:** أسست في أفريل 1947م وغيرت اسمها في جوان 1947م، وأصبحت تعرف "بالاتحاد العام للنقابات الفلاحية التونسية" وقد حرص بن يوسف على اختيار أعضائها بنفسه.

❖ **الاتحاد العام للفلاحة التونسية:** أسس في ماي 1950م، برئاسة الحبيب المولهي" وتولى "ابراهيم عبد الله" الأمانة العامة، وأصبحت هذه المنظمة من أهم ركائز الحزب الجديد، وذلك لاستقطابها قسطا كبيرا من الطبقة الأرستقراطية والبورجوازية الفلاحية التونسية.

❖ **الاتحاد التونسي للصناعة والتجارة:** هو الاسم الجديد الذي اقترحه بن يوسف بدلا من "اتحاد النقابات الصناعية وصغار التجار بالقطر التونسي" في أفريل 1948م،[1] واختار هذا الاتحاد صالح بن يوسف مستشارا قانونيا له، [2] وكانت لصالح بن يوسف علاقة مباشرة وحميمية مع "فرحات حشاد" ما بين سنتي 1945-1952م، ميزها الالتقاء الجهوي بين قيادة الاتحاد العام للشغل وبين قيادة الدستوري الجديد، ولا يمكن نكران دور بن يوسف في العمل على التأسيس القانوني لهيكلة الحركة الوطنية إذ دفع طاقات الحزب الدستوري الجديد لمعاضدة تكوين الاتحاد العام التونسي للشغل ...، وكما حفز بن يوسف النقابيين المنتميين للدستور الجديد للالتحاق بمسعى "فرحات حشاد"، وكانت محطات التنسيق والتحالف بين الزعيمين متعددة، كما تجلى التقارب بينهما في تمكين "حشاد" من الكتابة الدورية في جرائد

[1] عبد الجليل التميمي، سينمار الذاكرة الوطنية الزعيم صالح بن يوسف، المجلة التاريخية المغاربية، ع 130 ص 140

[2] عروسية التركي، المرجع السابق، ص 42.

الحزب: الحرية والسلام، ولم تتراجع علاقة بن يوسف وفرحات حشاد بعد عودة بورقيبة من المشرق بل تواصلت على نفس وتيرة التنسيق والتفاهم.[1]

وعي صالح بن يوسف بالمنظمات النقابية وأن المسألة الوطنية لا تنحصر في فئة ولا في طبقة، ثم توجهت عنايته إلى الشباب فأحدث نشاط الشبيبة الدستورية والكشافة الإسلامية، أبعادا جديدة، واتسعت رقعة عملها وارتفع عدد منخرطيها، وقد لعب السيد "عزوز الرباعي" دورا طلائعي في هذا المجال أطلق عليه بسببه اسم "زعيم الشباب" وقد ربطته بصالح بن يوسف علاقات حميمية، والتفت صالح بن يوسف إلى ميدان الصناعة والتجارة فدفع باتجاه إنشاء الاتحاد الوطني للصناعة التونسية، وفي تلك الفترة بالذات تأسست المنظمة النسائية الأولى برعاية الحزب الحر الدستوري الجديد وبن يوسف شخصيا وأطلق عليه اسم اتحاد النساء التونسيات، إن عبقرية صالح بن يوسف تمثلت في شعوره بأن الشعب التونسي بأسره مستعدا لمنازلة فرنسا.[2]

دعوة صالح بن يوسف إلى الاستقلال:

أولا: المشاركة في مؤتمر ليلة القدر:

بعد رحيل بورقيبة إلى مصر تولى بن يوسف رئاسة الحزب الدستوري فعمل إلى تنظيم مؤتمر وطني يضم مختلف الأطباق بهدف توحيد صفوف الحركة الوطنية التونسية، وقد كان بن يوسف دائم الاتصال بالشعب التونسي في جميع أنحاء البلدان، وسعى بنفسه لإعادة بناء شعب الحزب وخلاياه، وترأس الاجتماعات العامة، فجمع بين عمله الحزبي والجماهيري، كما شغل بن يوسف أن الشعب التونسي مستعد لمنازلة فرنسا، فأراد تنظيم صفوفه ومد القنوات

[1] نجاة عبو، المرجع السابق، ص 64.

[2] المنصف الشابي، المصدر السابق، ص 106.

بين فئاته لتزداد تلاحما وقوة، وذلك من خلال تجديد العمل الوطني بدعوته لعقد مؤتمر وطني كبير يجمع مختلف الشخصيات النضالية الوطنية.[1]

عقد المؤتمر في 27 رمضان 1365هـ الموافق لـ 23 أوت 1946م[2] بتونس العاصمة بحضور مختلف التيارات الوطنية "ممثلي الحزبين الدستوريين القديم والجديد، مشايخ الزيتونة وطلابها، القصر[3] الملكي..." وقد ترأس المؤتمر القاضي المرحوم "لعروسي حداد"، وحرص المنظمون على سرية المؤتمر، ولتضليل الشرطة الفرنسية عقد " علي الزليطني" اجتماعا ما في مكان آخر بالعاصمة، وكلف بعض الشبان بالحراسة، وسادت الأمور في مجراها الطبيعي، فافتتح المؤتمر "لعروسي" بكلمة قصيرة بقوله: " لقد أصدرت أحكاما كثيرة خلال حياتي القضائية، وها أنا أختمها الليلة بحكم الإعدام من الاستعمار والحضور الفرنسي بتونس"، وبعده أتيحت الكلمة "لصالح فرحات"، فبين مراحل الجهاد في الماضي وما آل إليه وضع البلاد، ثم صاغ بن يوسف اللائحة التي تقرر عرضها على المؤتمرين.[4]

ورغم ما تم اتخاذه من إجراءات لضمان سير المؤتمر وعدم عرقلته إلا أن السلطات الفرنسية تفطنت للأمر وبمجرد إنهاء كلمته حتى دخل مفوض الشرطة مع أفراد الجند النظامي، وطلب إنهاء الاجتماع وتفوق الجميع وهذا ما لم يكن له من قراءة اللائحة وقد خاطب الحاضرين قائلا: "لقد ألقيت على مسامعكم بنود اللائحة، فهل تصادقون على طلب الاستقلال؟ فنادى الجميع الاستقلال.[5] وبعدما تمكن المداهمون من إلقاء القبض غلى عدد كبير من الحاضرين وتمكن البعض الآخر من مغادرة المحل عبر نوافذه، وكان صالح بن

---

[1] المنصف الشابي، المصدر نفسه، ص 105-106.

[2] الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 74.

[3] نجاة عبو، المرجع السابق، ص 99.

[4] نجاة عبو، المرجع نفسه، ص 100.

[5] لمياء بوقرة، العلاقات الجزائرية التونسية 1954-1962، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2005-2006، ص 49-50.

يوسف من بين الذين قبض عليهم وكان من بينهم كذلك الدكتور الماطري ومحمد شنيق والفاضل بن عاشور وسليمان بن سليمان وعددا كبيرا من الوجوه الوطنية.[1]

حاول بن يوسف تشجيع رفاقه وأثبت بقوة دفاعه عن الحزب أمام قاضي التحقيق الذي اتهمه بالتآمر على أمن الدولة، وإقرار اجتماع دون رخصة فأجابه صالح بن يوسف قائلا: "أن الاجتماع وقع بطلب من المقيم العام لعرض الاصلاحات على رفاقه في الحزب وبعض الأعيان، فكان رده مقنعا".[2]

ساند "الأمين باي" فصائل الحركة الوطنية بإلغاء الاحتفال بعيد الفطر وعمت الاضرابات والمظاهرات كما احتجت جميع الصحف التونسية والعربية على هذا التصرف، فتخوفت السلطات الفرنسية من اندلاع ثورة بالبلاد، فأطلقت سراح المعتقلين السياسيين بعد قضائهم لشهر في السجن، وكان من نتائج ذلك تزايد شعبية صالح بن يوسف ونيله لثقة رفاقه، وقد اقتنعت سلطات الاستعمار أنها لن تتمكن من مخاطبة الحركة الوطنية إلا من خلاله، وكان آخر من أفرج عنه يوم 23 سبتمبر 1946م، ليتفرغ من جديد لمهامه الحزبية رغم الحصار المفروض على العمل السياسي، كما اهتم صالح بن يوسف ورفاقه بالتركيز على قوائم الحزب لتنتشر منظماته في مختلف أنحاء تونس.[3]

يمكن القول إن صالح بن يوسف لعب دور كبير من خلال مؤتمر ليلة القدر تبين ذلك من خلال المطالبة بالاستقلال من خلال إجماع مختلف التيارات الوطنية.

ثانيا: موقف صالح بن يوسف من الخلاف البورقيبي الثامري:

[1] المنصف الشابي، المرجع السابق، ص 108.

[2] المنصف الشابي، المرجع نفسه، ص 108.

[3] نجاة عبو، المرجع السابق، ص 101.

أصبح الحزب الدستوري تحت قيادة الثلاثي العنيد اثنان في الداخل هما صالح بن يوسف الذي يتقن لغة القانون وفن المساومة، وقد ورث عن والده الجربي كبير تجار تونس حسن التصرف في الأموال ومعرفة الرجال، وهو الذي عرف الوزارة مبكرا فعاشر الأمراء والبايات بلا عقد أو مراوغة، ثم المنجي سليم الذي ينحدر من العائلات البرجوازية للمماليك القادمين إلى تونس مع انتشار الامبراطورية العثمانية وهو رجل مثقف ذكي ومرن شديد الحساب مع نفسه، ومع أصدقائه، أما الثالث فهو الحبيب ثامر[1] لا غيره الموجود في القاهرة والذي وضع حدا لألاعيب بورقيبة وأخرجه من موقع القرار بفضل حنكته وجرأته وحبه للعمل وكسبه لثقة الحزب في الداخل والخارج.[2]

كان الزعيم صالح بن يوسف قد غادر تونس في تلك المرحلة متجها إلى القاهرة للحوار مع الحبيب بورقيبة وكوادر الحزب التي جمعتها الهجرة في العاصمة المصرية فوجد أوضاعهم على غير ما كان يتمنى فعلاقاتهم كانت متأزمة إلى حد التباغض في بعض الأحيان.[3] كما نشأت خلافات بين بورقيبة من جهة وبين كل من الدكتور "الحبيب ثامر" و"عبد الكريم الخطابي" و"محي الدين القليبي" أحد زعماء الحرب القديم و"يوسف الرويسي" عضو الديوان السياسي للحزب ورئيس لجنة تحرير المغرب العربي بدمشق، وصلت إلى حد القطيعة بينهم وبينه، بسبب اتصالات "بورقيبة" بالسفارة الفرنسية بالقاهرة وبادروا لفصله من الأمانة العامة للجنة تحرير المغرب العربي، وعينوا بدله "علال الفاسي" رئيس حزب

---

[1] الحبيب ثامر: (1909-1949)، درس الطب بباريس وترأس جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين أصبح من قياديي الحزب الحر الدستوري الجديد من 1938، أعتقل عدة مرات قبل أن يغادر تونس في ماي 1913م، هروبا من القمع الاستعماري حين التحق برفاقه بالقاهرة في جوان 1946م كان محل اجماع المناضلين المغاربة بمصر، توفي هو ورفيقه علي الحسامي من الجزائر في حادثة طائرة في 12 ديسمبر 1949م بباكستان أين كانوا يحضرون المؤتمر الاقتصادي الإسلامي باسم مكتب المغرب العربي بالقاهرة، ينظر: الطيب الباز: المرجع السابق، ص 67.

[2] سعيد صافي، المصدر السابق، ص 146.

[3] منصف الشابي، المصدر السابق، ص 109.

الاستقلال المغربي، كما اتهمه "الخطابي" بالانحراف والتواطؤ مع الفرنسين من حركة التحرير المغاربي فوصلت حدة الخلاف بين "بورقيبة" و"ثامر" إلى درجة أن قال هذا الأخير فيه: "إني أخشى على تونس من الاستعمار الفرنسي واستعمار بورقيبة بعد الاستقلال.[1]

وبعد تفاقم الأزمة اتصلت شلة من الدستوريين بالمناضل صالح بن يوسف للتباحث معه حول تداعيات الأزمة، وطلبوا منه أن يكون للحزب موقف واضح من هذه المخاطر المهددة لمصداقية شعور بورقيبة بالحصار وهنا راهن على صالح بن يوسف فأراد خلق الخلاف الثامري اليوسفي وذلك بإصرار بورقيبة على ملاقاته بسويسرا.[2]

فبعد إصرار بورقيبة على لقائه سافر إليه هذا الأخير في 1948، مصحوبا بممثل الحزب بفرنسا جلولي فارس بصفته المنسق بين قادة الحزب في الداخل والخارج، ولعلمه بكل ما تم بين الطرفين، ولذلك يمكن اعتبار مرافقة هذا الأخير لصالح بن يوسف ورقة محجبة سيعتمدها لمواجهة بورقيبة بمصر.[3]

وهكذا انكشف فشل رهانه على ملاقاة بن يوسف، وقد استمر ترسيخ الخط الثامري وتدعيم القيادة الجماعية على حساب الاستشارة بالرأي، كما استفادت المجموعة التونسية بمصر من زيارة بن يوسف إذ عمل على اصلاح الوضع، كما تعرف على المناضل "ابراهيم بن طوبال" وكانت له لقاءات مع العديد من زعماء مصر ومع "الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي" وأخيه "أمحمد" وبقية أعضاء مكتب المغرب العربي، [4] وقد تمكن بن يوسف من المصالحة بين المجموعتين التونسية والمغربية في مكتب المغرب العربي رغم الفجوة الحادة بين "بورقيبة" و"الأمير الخطابي" الذي يئس في التعامل مع "بورقيبة"، كما أن العلاقات

[1] نجاة عبو، المرجع السابق، ص 102.

[2] عبد الحفيظ موسم، المرجع السابق، ص 103.

[3] سعيد صافي، المصدر السابق، ص 147.

[4] منصف الشابي، المصدر السابق، ص 149.

بين "علال الفاسي" و"عبد المجيد بن جلول" وبقية أعضاء القيادة التونسية عادت إلى عهدها الوثيق بعد زيارة بن يوسف إلى القاهرة.[1]

ثالثا: دور بن يوسف في مؤتمر دار سليم:

أصدر الحزب جريدتين، الأولى بالعربية الحرية والثانية بالفرنسية مهمة وإن استعد جيدا لعقد مؤتمر خارق للعادة لرسم الخطوة العريضة للمرحلة المقبلة، فإن بورقيبة قد شن على قيادة تونس حملة عنيفة، انتقد اللغة العربية التي أصبح يتكلم بها الحزب ووصفها بأنها معتدلة ومختلفة وكان ذلك نوع من المزايدة، لأنه يقدم نفسه دائما كرجل معتدل داخل الحزب، ولكن لأن كل شيء قد أصبح خارج سلطته وكذلك جاء موت الباي المنفي في مدينة المنصف باي، فجر عدة عبوات مؤقتة بين بورقيبة وقيادة الحزب، فقد انتقد تخاذل الحزب حين لم ينظم جنازة لائقة بالباي المناضل ورغم أن بورقيبة قد جعل على كتفه حملا ثقيلا يسمى الشرعية فإنه يتحرر لاحقا من أيه وصاية لكي يواصل الهجوم من موقعه في القاهرة على قيادة تونس للحزب.[2]

لقد قرر صالح بن يوسف أن يسافر إلى القاهرة لكي يسكت انتقاده ويصلح بينه وبين الزعيم المغربي عبد الكريم الخطابي، وبعد إقامة قصيرة وعاد بعد أن أسند رئاسة الحزب إلى الحبيب بورقيبة، والأمانة العامة إليه شخصيا، والشؤون الخارجية للحبيب ثامر، إذ حصل بورقيبة على ما يريد واسترجع خيوط علاقته مع الخطابي بفضل وساطة بن يوسف، فقد شعل كل واحد منهم بأن عليه أن يواصل الهجوم في زعامة المرحلة.[3]

---

[1] نجاة عبو، المرجع السابق، ص 103.

[2] سعيد صافي، المصدر السابق، ص 147-148.

[3] سعيد الصافي، المصدر نفسه، ص 148.

عاد إلى تونس في سبتمبر 1948 فروي الحلو والمر لأعضائه في المكتب السياسي واعتزم تنظيم المؤتمر الثالث للحزب الدستوري الجديد أملا في إعطاء الشعب التونسي صورة عن وحدة طليعته النضالية، [1] فتقرر عقد مؤتمر استعجالي للحزب يوم 17 أكتوبر 1948 بتونس العاصمة بدار "المنجي سليم" حضره جميع ممثلي شعب الحزب وعدد من الإطارات والشخصيات الوطنية، فألقى بن يوسف خطابا شاملا قدم فيه عرضا وافيا عن سياسة الحزب وانجازاته ومخططاته وكما تطرق لهجرة بورقيبة إلى القاهرة وعلاقته مع بقية أعضاء مكتب المغرب العربي، وقضية الدعم المالي للمكتب، وعلاقته العادية بالديوان السياسي القائمة على التحاور المتواصل ...، كما قدم عرضا حول انجازات الحزب، بمساهمته في بعث المنظمات النقابية الوطنية ودعمها للقضية الوطنية، وأثني على الإخوة القائمين على شؤونها لكونهم يمين الحزب وسنده القوي في جميع الظروف، كما وصف بن يوسف الجماعة الساعية للتفرقة (بالعمل الاجرامي)، مما أثار استنكار بعض النواب وقرروا مقاطعة التوتر.[2] اعترض البعض على شرعية المؤتمر ودعمه البعض الآخر بتأجيل المؤتمر أما البعض الثالث فقد حرص على أن يكون عناية الباي إلى جانبهم، وتساءل البعض الآخر عمن يستطيع أن يؤكد له أن هذا المؤتمر ينعقد بموافقة قادة الحزب وإذ غضب قائلا للمؤتمرين نقلا عن السعيد صافي: "هل لابد أن أحضر معي شهودا من المحكمة للتأكيد على أقوالي؟".[3]

وبعد النقاشات المتواصلة جاء دور انتخاب أعضاء المجلس المحلي للحرب وأعضاء الديوان السياسي فرغب الكثيرون في الترشح، وبما أن العدد محدود فإن من الشق المعارض "بلحسين جراد" و"الهادي نويرة" أما أعضاء الديوان السياسي فاقترح بن يوسف إسناد رئاسة

[1] المنصف الشابي، المصدر السابق، ص 109.

[2] نجاة عبو، المرجع السابق، ص 104.

[3] السعيد صافي، المصدر السابق، ص 149.

الحزب للزعيم "بورقيبة"، لأن صفة كاتب عام للحزب لا تولي أي اهتمام من الإخوة بالمشرق، وهذا حرصا منه على ابراز قيمة "بورقيبة" بالمهجر، وقد أجمع الحاضرون على رئاسة "بورقيبة" للحزب، وأما بن يوسف فتولى الأمانة العامة، ورغم اقتناع الأغلبية بأن بن يوسف هو الأجدر بتحمل الرئاسة لقدراته وكفاءاته النضالية، وأقر المؤتمر في الختام دعوة الشعب التونسي لإعلان العصيان المدني، أوكل لأعضاء الديوان السياسي مهمة القيام بجولة داخل البلاد لشرح مقررات المؤتمر للأطياف الشعبية ودعمها للحزب في وقت الحاجة.

ورغم إقرار المؤتمر وبدافع من صالح بن يوسف بإسناد الرئاسة الحزبية "لبورقيبة" إلا أن هذا الأخير يصفه بمؤتمر الخيانة والغدر،[1] كما أن أنصاره في الداخل (الهادي نويرة وعلالة العويتي ومحمد شرشور) مراسلات ينذرون "بورقيبة" بضرورة العودة إلى تونس.[2]

لذلك عاد بورقيبة الى تونس يوم 08 سبتمبر 1949 ولم يعترض الامن الفرنسي سبيله لأنه غادر البلاد خلسة وكان بإمكانهم ازعاجه حول هذه النقطة لكنهم كانوا ينتظرون هذه العودة بفارغ الصبر لأسباب تختلف عن الأسباب التي جمعت بتلك المناسبة آلاف التونسيين يتقدمهم الزعيم صالح بن يوسف في مطار العوينة لاستقباله.[3]

---

[1] يقول بورقيبة في مذكراته: (لكن صالح بن يوسف لما عاد نظم مؤتمر دار سليم، مؤتمر الخيانة والغدر والنفاق، وكون ديوانا سياسيا أدخل فيه يوسف الرويسي الذي كان في دمشق ويعرف أن بن يوسف كان ضد، كما أدخل فيه الدكتور ثامر الذي عين أمين مال الديوان السياسي وما كانت بين هذه الجماعة قرابة عائلية فقد وقع تصرف شخصي في مال الحزب لا علاقة له بالمصاريف الحزبية القانونية، أما أنا فقد سحب مني كل نفوذ واعتبرت خارج دائرة ذوي الحل والعقل في الحزب، والسبب في كل هذه الوقائع أن الجماعة كانت متضايقة من وجودي في تونس فخيل إليهم أنهم تخلصوا مني لما أقمت بالقاهرة...). ينظر: عبد الجليل بوقرة، المرجع السابق، ص 170.

[2] نجاة عبو، المرجع السابق، ص 105.

[3] المنصف الشابي، المرجع السابق، ص 110.

الفصل الثاني:

النشاط السياسي والعسكري لصالح بن يوسف من 1954 . 1956

المبحث الأول: النشاط السياسي لصالح بن يوسف داخلين وخارجيا

المبحث الثاني: النشاط العسكري صالح بن يوسف.

المبحث الثالث: صراع بين صالح يوسف ولحبيب بورقيبة 1955. 1961

المبحث الأول: نشاط صالح بن يوسف في الداخل والخارج.

1/ نشاط السياسي لصالح بن يوسف داخليا:

عاد صالح بن يوسف يوم 13 سبتمبر 1955 من الشرف وكان في استقباله جمهور غفير يقدرب15 ألف، وقد أسرع بالتصريح في خطابه الذي ألقاه من شرفة منزله الكائن بضاحية منفلوري بالعاصمة[1] كان يدعو الشعب التونسي إلى رفض اتفاقيات 3جوان 1955 باعتبارها "خطوة إلى الوراء "إذا هي دون طموحات الشعب في تحقيق الحكم الذاتي كخطوة نحو الاستقلال.[2]

عاشت تونس للمرة الثانية يوما مشهودا حضر الكثير بمطار العوينة، من مختلف الاعمار والفئات وحتى التيارات السياسية والفكرية وكان في مقدمتهم الأمير الشاذلي باي والحبيب بورقيبة وأعضاء الحكومة وزعماء المنظمة القومية ....[3]

بحيث صرح في خطابه الأول امام الالاف من المواطنين بان الاتفاقيات تكرس هيمنة فرنسا على تونس. وفي تلك اللحظة بدأت عملية العودة الى الوعي عند الجماهير الشعب التونسي. وفي تلك اللحظة بدأت عملية الفرز في صفوف الحركة الوطنية. فما أصعب ان ترفع الغشاء عن عقول الناس بعد ان احكم طرحه. وما أرشد الألم الذي يرافع الوعي بالخطر الذي يحيط بالمسالة الوطنية بعد ان كان المرء ينعم بسعادة النصر وتحرير الوطن[4]

اختار صالح بن يوسف كقاعدة لمقاومة أنصار الاتفاقية جامع الزيتونة منذ خطابه فيه يوم 7 أكتوبر 1955 له رمزية خاصة لأنه كان على قناعة أن جل الوسط الزيتوني أساتذة

---

[1] الحسين بن عيسى، المرجع السابق، ص 175.

2. عروسيه التركي، فصول في الحركة الوطنية في تونس المعاصرة، المرجع السابق، ص92

[3] عروسيه التركي، الحركة التونسية في تونس، 1955. 1956، المرجع السابق، ص .230.

[4] المنصف الشابي، المرجع السابق، ص.155

وطلبة كانوا في صفة تحركهم شعارات الدفاع عن العروبة والأسلام ومحاربة التعذيب واللائكية.[1]

حيث قال: ".... لما قبلنا المفاوضات كان القصد منها أن تكون لضمان مصالح الجالية الفرنسية في هاته البلاد، لا أن تؤول إلى اتفاقيات أقرت بصفة صريحة وواضحة لا تقبل الشك، الوضع الاستعماري الموجود، لأجل ذلك أقول إن الاتفاقيات التي أقرت الوضع الاستعماري يعترف بما لم تعترف به معاهدة باردو، والتي لا تحرمنا صراحة لا من السيادة الخارجية ولا من الجيش، ولا تجعل من الحكومة في علاقتها الاقتصادية والمالية ولا تتجاوز الرحمة الفرنسية ...لذلك أعتبر أنها أرجعتنا إلى الوراء. ولذلك أدعو حزبي ومن ورائه. الشعب بأن لا يقر ما أقره غيره، ويجب على الشعب ...أن يعقد العزم على مواصلة الكفاح للتخلص نهائيا من نير الاستعمار"[2]

وأصدر الديوان السياسي قرارافي12 أكتوبر1955 بإقصاء صالح بن يوسف مما أحدث انشقاقا في صفوف الحزب، بين مؤيد لقرارا لأقصاء ومعارض.[3]

ويترتب مع المقيم العام الفرنسي دعا بورقيبة إلى اجتماع للديوان السياسي للحزب الجديد وأصدروا قرار بتاريخ 13 أكتوبر 1955 يقضى بفصل صالح بن يوسف من الأمانة العامة للحزب وتجريده من جميع مسؤولياته ومن عضوية الحزب. غير أن صالح بن يوسف رفض الإذعان لقرار الفصل من الأمانة العامة ومن عضوية الحزب.[4]

---

[1] عميرة علية الصغير، المرجع السابق، ص 29

[2] عروسيه التركي، المرجع السابق، ص 240

[3] أحمد المستيري، شهادة التاريخ ذكريات وتأملات وتعاليق حول فترة من التاريخ المعاصر لتونس والمغرب الكبير (1940 . 1990) وثورة (2010 . 2011)، دار الجنوب، تونس، 2011، ص 80

[4] الحسين بن عيسى، المرجع السابق، ص 205

وفي 30 أكتوبر أعلن صالح بن يوسف باسم الحزب الحر الدستوري بأن الديوان السياسي لم يبقى له أهلية قيادة الحزب والامة ودعا جميع التشكيلات الحزبية الانفصال عن الديوان السياسي والتبرؤ منه والالتحاق الفوري بالأمانة العامة للحزب[1]

برز الخلاف بعد أيام، ورفض صالح بن يوسف الدعوة الموجهة له لحضور مؤتمر صفاقس في 15نوفمبر1955، فانعقد المؤتمر ولم يحضر، وشرع هذا الأخير في جولة حول أنحاء تونس يخاطب الجماهير ويتصل بالمناضلين وإطارات الحزب ويقوم بحملة ضد اتفاقيات الاستقلال الداخلي وضد الذين ابرموها، مطالبا باستئناف الجهاد والتعاون والتضامن مع المجاهدين الجزائريين الذين أشعلوا الثورة في بداية نوفمبر1954[2]

نادي بن يوسف بعدم قبوله هذا، الاتفاقيات لإن قبولها خيانة للكتلة الافرو أسيوية التي دعمت قضية شمال إفريقيا في مؤتمرها بباندونغ.

وتجريد الأستاذ صالح بن يوسف من الكتابة العامة للحزب ومن عضوية الحزب[3] وتمرده وخروجه من حزب الدستور التونسي بعد صدور القرار الذي اتخذه الديوان سياسي في حق صالح بن يوسف تزايد عدد الوافدين على منزل الزعيم الكبير حيث آوردت جريدة الصباح أن بن يوسف قطع مقابلاته ونزل إلى حديقة منزله حيث احتشدت جماهير غفيرة من الزائرين يفوق عددها الالاف وأرتجل أمامها خطابا طويلا دام حوالي ساعدة ابتداء قائلا:" إني جدا متأثر بهذه المناظر الشعبية الرائعة وإنني مبتهج لها لأنكم تألمتم جميعا. وقدومكم إلى هنا دليل على ذلك. تألمتم للحادث الذي حصل اضطر بن يوسف في باقي الأيام إلى

[1] عميرة علية الصغير، المرجع السابق، ص 50

[2] احمد المستيري، المصدر السابق، ص 80

[3] براكني عبد الباقي وشلالي عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 84 . 85

إلقاء خطبه من شرفه منزله الذي أصبح منبرا الحماسة لخطاباته وكانت هذه الخطب توضح طبيعية المفاوضات وأهدافها والانتصارات التي حققتها تونس [1]

موقف بورقيبة (خطوة إلى الإمام)

كان بورقيبة ينظر لهذه الاتفاقيات أنها خطوة للأمام لاستكمالها مقومات الهوية الوطنية لان وضع مع اتفاقيات الاستقلال الداخلي أفضل من قبل وتفتح هذه للاتفاقية للظفر بالاستقلال التام[2] وكان بورقيبة يعتبر الحياد الوضع المريح للبلاد حديثة الاستقلال وموقف بورقيبة مع الحياد يعني الاستقالة من كل فعل إنساني ورفض التحديات وهذا منا في لموافق صالح بن يوسف الذي يرى الحياد موفق إيجاب.[3]

2/ نشاط صالح ين يوسف خارجيا:

يتبين مما سبق أن مشاركة بن يوسف في الحكومة التفاوضية كانت بغرض المحافظة على وحدة الحزب الدستوري الجديد بمساندته لبرنامج "بورقيبة"، والسعي لتدويل المقضية التونسية في المحافل وبدرجة أولى في هيئة الأمم المتحدة، وتجسد هذا بمشاركة بن يوسف في بعثة وزارية سنة 1952م، لعرض القضية التونسية على الأمانة العامة للأمم المتحدة.

❖ **صالح بن يوسف وهيئة الأمم المتحدة:**

بعد فشل المفاوضات الفرنسية التونسية بإرسال وزير الخارجية الفرنسي روبار شاومان[4] مذكرة بتاريخ 15 ديسمبر 1951م الى الوزير الأكبر "محمد شنيق"، تؤكد على ازدواجية

[1] براكني عبد الباقي وعبد الوهاب، المرجع نفسه ص 85-86.

[2] عروسية التركي، المرجع السابق، ص 217 . 218.

[3] براكني عبد الباقي وشلالي عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 83-84.

[4] روبار شومان: (1886-1993) م تقلد عدة مناصب سياسية كوزير المالية، رئيس مجلس النواب، ووزير الخارجية، عرف بمناصرته للفكر الوحدوي (الاتحاد الفرنسي، الوحدة الأوروبية). ينظر: عروسية التركي، المرجع السابق، ص 59.

السيادة وارتباط تونس الدائم بفرنسا، لم يبقى أمام العمل الوطني إلا أسلوب المجابهة العنيفة، [1] وخاصة بعد فشل أسلوب الحوار الدبلوماسي السلمي، فعاد الوفد التونسي إلى البلاد في 24 ديسمبر 1951م، كانت أخبار الرد الفرنسي قد سبقته فبدأت الاحتجاجات على السياسة الفرنسية تضم جميع الأوساط، وأثناء عودة "بورقيبة" إلى تونس في 04 جانفي 1952م سعى بن يوسف لاستقباله رفقة الديوان السياسي، وارتفعت أصوات المواطنين بالنداء لضرورة تدويل القضية في الأمم المتحدة.

وقد أدى بن يوسف في هذه المرحلة دورا حاسما في دفع الحكومة والحزب إلى خط المجابهة، وأبى أن يتحمل بنفسه تدويل القضية التونسية، فسافر رفقة "محمد بدره" وزير الشؤون الاجتماعية لنيويورك وقدما بتاريخ 14 جانفي 1952م عريضة إلى الأمانة العامة[2] لهيئة الأمم المتحدة، كما كان صالح بن يوسف ومحمد بدره لقاءات عديدة من الأحزاب والقوى السياسية الفرنسية إعلاميا، قدم ملفات مفصلة عن القضية التونسية لمختلف الصحف، كما رفض ادعاءات ممثلي الحكومة الفرنسية بأن العلاقات الخارجية التونسية تقع تحت نظر السلطة الفرنسية باعتبار اتفاقية الحماية، معتبرا أن هذا الكلام قد تجاوز الزمن وأن مواثيق الحماية الفرنسية لم تبلغ السيادة التونسية في أي فصل من فصولها[3] وقد شارك بن يوسف إلى جانب "الباهي الأدغم" في الأمم المتحدة بنيويورك ضمن الوفد العراقي بطلب من "فاضل الجمالي" (كان له الدور الأساسي في طرح قضايا الأقطار المغاربية)، كما واجه

---

[1] أصدر الديوان السياسي قرارا بالإضراب العام بإمضاء بن يوسف الأمين العام للحزب الدستوري الجديد ووزير العدل في حكومة شنيق، فكان الإضراب عاما وشاملا في جميع القطر التونسي يوم 10 مارس 1951م، ولذا طلب من الباي إقالة صالح بن يوسف في الحكومة لأنه قام بعمل عدائي نحو فرنسا لكنه رفض ... ينظر: علي البلهوان، المرجع السابق، ص 150.

[2] كانت بمقدمة بباريس بقصر شايو كما لحق بالوفد أعضاء عن الحزب الحر الدستوري القديم يتركب من السادة: محي الدين القليبي مدير الحزب وصالح حماش وأحمد بن ميلاد، ينظر، المنصف الشابي، المرجع السابق، ص 122.

[3] المنصف الشابي، المصدر السابق، ص 123.

"بن يوسف" و"بدره" مشاكل مع القنصلية الأمريكية للحصول على تأشيرة الدخول للولايات المتحدة الأمريكية بسبب عدم صلاحية جواز سفرهما، [1] كما أصدر صالح بن يوسف وبدره تصريحا عبرا فيه عن أوضاع تونس الداخلية وأنها تأمل من الهيئات الدولية إيجاد حلول لقضايا البلاد.[2]

وقد رد المقيم العام الجديد " دي هوت كلوك" بعنف على إقدام تونس بالاحتكام لهيئة الأمم المتحدة وعبر عن غضبه في زيارته للسلك في 15 جانفي 1952م وعزمه على استخدام القوة والشدة من الدستور الجديد والضغط عليه لإقالة وزارة "محمد شنيق" وإرجاع الوزراء من باريس وسحب الشكوك من هيئة الأمم المتحدة، وكما حاولت السلطات الفرنسية إلقاء القبض على صالح بن يوسف ومحمد بدره بباريس، غير أنهما تمكنا من الهروب من فرنسا رغم الحراسة المشددة عليهما، [3] ويذكر "محمد الصالح كعفار" أن "محي الدين القليبي"[4] هو الذي اتصال ببن يوسف وأشعره بخبر إلقاء القبض على زملائه وطلب منه مغادرة فرنسا في أقرب وقت.

❖ **قرار الأمم المتحدة:**

في خريف 1952 وقع تسجيل القضية التونسية في جدول أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة، وذلك تطبيقا للبند 11 الفقرة الثانية من ميثاق المنظمة الذي يخول لها مناقشة كل قضية تهم المحافظة على الأمن والسلم إصدار القرارات المناسبة وعلى هذا الأساس تكون

---

[1] نجاة عبو، المرجع السابق، ص 110.

[2] مجلة المنار، الجزائر، سنة ثانية، العدد 1، 8 أوت 1952، ص 01.

[3] علي البلهوان، المرجع السابق، ص 123.

[4] محي الدين القليبي: (1899-1954)، من رموز الحركة الوطنية التونسية والنضال المغربي خلف الثعالبي بعد رحيله إلى المشرق في إدارة الحزب الدستوري الحر سنة 1923م، اتخذ مواقف صارمة تجاه المؤتمر الأفخارستي، سجن سنة 1934م، زار الجزائر في الثلاثينات وكتب عنها في جريدة الأزهر، ساهم في استقلال ليبيا، توفي بدمشق سنة 1954م. ينظر: نجاة عبو، المرجع نفسه، ص 110.

فرنسا متهمة بتخريب السلم في إفريقيا الشمالية ونتيجة لعزم المجموعة الإفريقية الآسيوية، وتهم الولايات المتحدة الأمريكية أصدرت الجمعية العامة قرارا معتدلا، وكان من بين المدافعين عن القضية التونسية الباكستاني "ظفر الله خان" الذي صرح أن فرنسا حكمت تونس لمدة تزيد عن 71 سنة ومازالت تدعي أن تلك البلاد غير جديرة بالاستقلال، وهذا معناه اعتراف صريح بفساد الحكم الفرنسي وعدم صلاحيته وكانت كلمة أبلغ وأحسن حجة لفائدة القضية التونسية في الأمم المتحدة.[1]

ونظرا للصعوبات التي تواجهها فرنسا على الساحة الدولية في شمال إفريقيا وفي الهند الصينية أعلن ممثل حكومة Pinay أمام الجمعية العامة مقاطعة الجلسات وأنه لم يحضر لنقاش القضية التونسية ولا للتصويت عليها، لأن قضية تونس قضية داخلية وأنه يرفض مسبقا كل قرار تأخذه الأمم المتحدة وكان القرار، ويدعو الطرفين التونسي والفرنسي إلى التفاوض حول 06 نقاط:

- منح الباي حرية التصرف.
- إطلاق سراح الزعماء الوطنيين.
- العودة إلى المفاوضات المباشرة والمتواصلة.
- عدم تطبيق القانون العرقي.
- تكوين لجنة من الأمم المتحدة لمساعدة الطرفين خلال المفاوضات.
- تحديد مدة لا تتجاوز سنة لإنهاء المفاوضات.[2]

[1] عبد الكريم عزيز، نضال شعب أبي تونس 1881-1956م، مركز النشاط الجامعي، تونس، 2001م، ص 444.

[2] خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق، ص 163.

هذا وقد رفضت اللائحة العربية الإفريقية وقبلت لائحة أمريكا اللاتينية التي تدعو إلى مفاوضات مباشرة وفي وقت أقرب، ووافقت الولايات المتحدة الأمريكية على هذه اللائحة وعرفت أنه يصوت إلى جانبها إلا عدد قليل من الوفود.

وقد جاء في كلمة مندوب البرازيل نيابة عن دول أمريكا اللاتينية التي قبلت لائحتهم بوضوح على حق تونس في الاستقلال كما شدد على الوطنيين في تونس وفي الكتلة الإفريقية الآسيوية فقد اعتبرت تصويت معظم وفود الأمم المتحدة نصف انتصارها.

من جديد عرضت القضية التونسية على اللجنة الأولى لمنظمة الأمم المتحدة في أكتوبر 1953م متهمة فرنسا خلال النقاش بعدم تطبيق اللائحة التي وقعت عليها سابقا سنة 1952م، وتم بعد ذلك اغتيال النقابي فرحات حشاد ومنع الباي من تكوين حكومة وطنية ولم يتم إطلاق سراح المعتقلين السياسيين.[1]

وقع التصويت على اللائحة الجديدة يوم 26 أكتوبر 1953 بـ 23 صوت مقابل 22 صوت واحتفاظ 05 وفود، وتنص اللائحة على منح تونس الاستقلال الكامل لكن هذه التوصية لم تعرض على الجمعية العامة لتبنيها لأنها لم تحرز على 2/3 من الأصوات وبذلك رفضت اللائحة الخاصة بالقضية التونسية لكامل مكوناتها بما في ذلك لائحة سنة 1952.[2]

ومرة أخرى في شهر جويلية 1954 طلبت 14 دولة إفريقية آسيوية عرض القضية التونسية ورفض الاندماج في الاتحاد الفرنسي الذي أرادت فرنسا فرضه على تونس وتمت

[1] خليفة شاطر وآخرون، المرجع نفسه، ص 163.

[2] عبد الكريم عزيز، المرجع السابق، ص 404.

المظاهرات وأصبحت الدولة التونسية فريسة العصيان والثورة الأمر الذي يهدد الأمن والسلم العالمي.[1]

وهكذا كان لبن يوسف دور هام في تدويل قضية بلاده ضمن جدول أعمال هيئة الأمم المتحدة، مما جعله عرضة للاتهام من طرف الحاكم العام بأنه من أعداء فرنسا لتحريضه على الفوضى والإضراب، فسعى لعزله وإقالته من منصبه كوزير في الحكومة التونسية. كما استفاد بن يوسف من هذه التجربة في التواصل مع ممثلي الدول لهيئة الأمم المتحدة، والاستفادة من الإعلام لتوضيح القضية التونسية، والدفاع عنها بشتى الوسائل والطرق أثناء تواجده بباريس.

❖ **اتجاهه إلى القاهرة:**

تمكن صالح بن يوسف من ربط علاقات من زعماء القيادة المصرية وذلك في إطار التنسيق العربي لمؤازرة الشعب التونسي، وتكللت مجهوداته بالنجاح، بموافقة الأمين العام للأمم المتحدة على المشاركة في الجلسة العامة للهيئة بنيويورك في 20 أكتوبر 1952[2] وبعد عودته إلى القاهرة سعى بن يوسف لتنسيق العمل مع زملائه في مكتب المغرب العربي، فكانت معاصرته "الخطابي" زعيم الريف وصاحب المشاريع المغاربية الاستقلالية، وكما عاصر بن يوسف عملية توجيه الشبان للمشاركة في حرب فلسطين الأولى، فكان لاحتكاك بن يوسف بالخطابي تأثير بالغ وإيجابي على تصوراته وأصبح مؤمنا أكثر بالمقاومة العسكرية وبالعروبة والإسلام فأصبح زعيما عربيا قوميا، وتخلى على أفكاره السابقة بشأن التعاون مع فرنسا، وكما يعتقد أن الفترة التي قضاها بن يوسف في مصر كان لها تأثير كبير على توجهاته الفكرية، فتأثر بمراسلاته مع رموز الحركة الوطنية المتواجدين

[1] خليفة شاطر وآخرون، المرجع السابق، ص 264.

[2] المنصف الشابي، المصدر السابق، ص 131.

بمصر قبل أن يزورها، وإثر وصوله إليها تأثر بالديناميكية الكبيرة لمكتب المغرب العربي، كما أنه عايش التيار الناصري، واقتنع أن مصلحة تونس في وقوفها إلى جانب الثورة الجزائرية واندراجها في إطار وحدة المغرب العربي.

وقد انضم صالح بن يوسف لأعضاء مكتب المغرب العربي، وأصبح رئيسا للمكتب التونسي بصفته الأمين العام للحزب الدستوري الجديد إلى جانب محمد خيضر وعلال الفاسي، فعمل على تنسيق التضامن المغاربي بين تونس والمغرب والجزائر، [1] فتوطدت علاقات بن يوسف مع مناضلي الشمال الإفريقي والقيادة المصرية، إذ شارك بن يوسف إلى جانب محمد بدره وعلي البلهوان في بعث ميثاق لجنة تحرير المغرب العربي بتاريخ 04 أفريل 1954م بالقاهرة لتوحيد النشاط السياسي الوطني للحركات المغاربية وأعطى دفعا وحركية جديدة لإبراز مظاهر التعاون والتضامن والتنسيق بين هذه الحركات الوطنية[2] فأصبح بن يوسف يراهن كثيرا على المجال المغاربي، ويعمل على تنسيق الجهود المغاربية معتبرا أن مستقبل المغرب العربي مستقبل واحد.[3]

❖ دوره في مؤتمر باندونغ:

المؤتمر الذي سافر إليه صالح بن يوسف هو مؤتمر باندونغ[4] وكان مرفوقا بوفد عن أقطار الشمال الإفريقي الثلاث التي تقاتل من أجل استقلالها وطرد الاستعمار الفرنسي، وتركب الوفد كالتالي: محمد يزيد وحسين آيت أحمد عن الجزائر، وعلال فاسي وعبد المجيد

---

[1] نجاة عبو، المرجع السابق، ص 136.

[2] فتحي الذيب، عبد الناصر والثورة الجزائرية، ط2، دار المستقبل العربي، بيروت، 1990، ص 23.

[3] نجاة عبو، المرجع نفسه، ص 136.

[4] فهي مدينة تقع في إندونيسيا اجتمعت فيها في أفريل 1955 وفود من 29 دولة حديثة العهد بالاستقلال أهمها إندونيسيا والصين والهند والباكستان ومصر، وقد عملت وفود هذه الدول في الأمم المتحدة مدة سنتين من أجل الوصول إلى تنظيم مؤتمر تلتقي فيه قوى إفريقيا وآسيا للتنديد بالسياسة الاستعمارية في كل أنحاء العالم والتفرقة العنصرية وكذلك لتشير إلى خطر تفشي الأسلحة النووية. ينظر: المنصف الشابي، المرجع السابق، ص 170.

بن جلول من المغرب وصالح بن يوسف والطيب سليم والطاهر عميرة عن تونس، وقبل أعضاء الوفد ضمن المؤتمر باعتبارهم ملاحظين لأن العضوية تمنح لممثلي الدول المستقلة فقط، وقد عين الزعيم صالح بن يوسف ناطقا باسم الوفد، وتضيف جريدة لوموند المؤرخة في 19 أفريل 1955 التي أوردت النبأ أنه حامل حملة شديدة على فرنسا وعلى سياستها، وإن ذلك قد ينعكس سلبا على مجرى المفاوضات التونسية الفرنسية، وصدر عن الوفد التونسي أثناء إقامته ببانـدونغ بيان يطالب الحاضرين بوضع سياسة عملية للقضاء على مواقع الاستعمار الفرنسي في بلدانهم ويطالب البيان بضرورة شن حملة إفريقية آسيوية من أجل أن لا يبقى حق الشعوب في تقرير مصيرها شعارا خاليا من أي محتوى، ويقترحون أن تكون الأمم المتحدة مسرحا لهذه الحملة، فتخصص جلستها العامة لمناقشة مسألة الاستعمار وكيفية القضاء عليه.

وذلك كما كان يحدث في باندونغ، وكانت أنظار العالم بأسره ملتفتة إلى ذلك الاتجاه وفي باريس اقترح المفاوضون الفرنسيون القيام بتصريح مشترك يعلن عن حصول اتفاق حول أهم القضايا المطروحة للحوار، والغرض من هذه العملية واضح، فهم يريدون بذلك سحب البساط تحت أقدام الوفد التونسي – الجزائري[1] المغربي ببانـدونغ ومنع الجلسة العامة للمؤتمرين التصويت على أية لائحة بالسياسة الفرنسية.

من السياق كسبه الوفد وكسبه الزعيم صالح بن يوسف فالمفاوضون التونسيون رفضوا التوقيع على مثل هذا التصريح واشترطوا مقابل ذلك أن تتخلى فرنسا عن فكرة منح الفرنسيين المشاركة، بمجالس البلديات حيثما وجدوا على التراب التونسي.

[1] المنصف الشابي، المصدر السابق، ص 172.

ونظرت الجلسة العامة لمؤتمر باندونغ في لائحة مصرية تطالب بالبحث بسرعة عن حل عادل وسلمي لقضايا شعوب المغرب والجزائر وتونس باتجاه حقهم في تقرير مصيرهم وكتبت اللائحة بلهجة معتدلة مع تضمينها أهم ما تطالب به شعوب شمال إفريقيا الثلاث، فتمت المصادقة عليها بالإجماع واعتبر ذلك إدانة فرنسا.

وقد انشرت وكالة فرانس براس مقالا يوم 24 أفريل أكدت فيه أن الأوساط الفرنسية الرسمية تبدي استغرابها واستيائها لمصادقة المؤتمر على اللائحة المصرية، وأشار المقال إلى أن المفاوضات الفرنسية التونسية أفضت إلى اتفاق حول أهم النقاط المطروحة على مائدة النقاش.

وفي يوم 23 أفريل أعلنت جريدة لوموند على حصول اتفاق مبدئي بين الطرفين المتفاوضين حول القضية التونسية، وكان خبر الاتفاق قد شاع في تونس قبل ذلك بيومين.[1]

بعد هذه التوضيحات جاءت ردود فعل عديدة إذ عبرت اللجنة التونسية الفرنسية عن انتهاجها بهذا العمل الذي يضع حد لوضعية تجاوزها للتاريخ.[2]

كان لصالح بن يوسف دور كبير في طرح القضية التونسية أمام 29 دولة أفر وآسيوية والمطالبة بحق الشعوب بتقرير مصيرها بنفسها وإدانة فرنسا.

[1] المنصف الشابي، المصدر السابق، ص 174.

[2] المصدر نفسه، ص 176.

المبحث الثاني: النشاط العسكري لصالح بن يوسف.

وفي20 نوفمبر 1955 اتفق صالح بن يوسف والطاهر الأسود على الرجوع إلى الكفاح المسلح من أجل الحصول على الاستقلال التام.[1]

عند رفض عضوية بن يوسف من الحزب الدستوري الجديد وتجريده من الامانة العامة عبر الكثير من سكان الجنوب عن استنكارهم لهذا الاجراء، وتكلف عدد منهم رغم الخصاصة والمشقة وتكلفة الرحلة بالتحول إلى تونس العاصمة لمساندته وهناك من تكلف بحمايته في منزله بمونفلوري، لذلك حاول بورقيبة التركيز في خطبه في الجنوب على نبذ القبلية والجهوية والأقلية قائلا: "فنحن لا قبيلة فينا، ولا ننزع نزعة الجاهلية وعملنا لوجه الله لا فرق عندنا بين من هو أصيل الشمال ولا بين من ينتمي إلى جربة ومن ينتمي الى الساحل أو بنزرت أو الجريد، كلنا في خدمة وطن واحد ...".[2]

التقاء الطاهر لسود وبن يوسف حول مبدأ الاستقلال التام بعد طعن بن يوسف في نتائج المفاوضات 1954 و1955 أصبح من المحتمل عودة الكفاح المسلح إلى الساحة التونسية، فبادر بورقيبة بعقد اجتماع في منزله "برحبة الغنم" بقادة الفلاقة محجوب بن علي، الأزهر الشريطي والطاهر لسود...

وفي هذه المقابلة عبر الطاهر لسود عن غضبه لإجهاض الثورة بتجريد الثوار من سلاحهم قبل أن تنجز الثورة اهدافها في تحقيق الاستقلال التام، لكن الحبيب بورقيبة حاول شرح وجهة نظره في مسألة تسليم السلاح.[3]

---

[1] عروسية التركي، المرجع السابق، ص 313.

[2] محمد ذويب، المرجع السابق، ص 150.

[3] عروسية التركي، فصول في تاريخ الحركة الوطنية في تونس المعاصر، المرجع السابق، ص 92.

ولعل بورقيبة كان يهدف من وراء هذا الاجتماع إلى كسب قادة "الفلاقة" إلى صفه كاحتياط وذخر لحرب أهلية على وشك الاندلاع، وبالتالي قطع الطريق أمام خصمه "بن يوسف" الذي عاد من الشرق وكان يدعو الشعب التونسي إلى رفض اتفاقيات 03 جوان 1955 باعتبارها خطوة إلى الوراء إذ هي دون طموحات الشعب في تحقيق الحكم الذاتي كخطوة نحو الاستقلال التام.[1]

لكن الجانب الاثني لا يكفي وحده لتفسير هذا الولاء لأطروحات الأمانة العامة من قبل سكان الجنوب الشرقي، ذلك أن الشريط الغربي للبلاد التونسية من شماله إلى جنوبه في اغلبه سائد التوجه اليوسفي، بالإضافة إلى العاصمة التي كانت تجمع أشخاصا من كل جهات البلاد، ولم تكن موالاة بورقيبة قوية إلا من جهة المنستير والودانين موطنه الأصلي وبصفاقس لسيطرة الاتحاد التونسي للشغل فيها من بعض الاستثناءات فحسين التركي ابن المنستير المتتلمذ دستوريا على يد بورقيبة، كان العضد الأيمن لبن يوسف في حين أن بشير زرق العيون لم تمنعه قرابته الدموية من بن يوسف من أن يكون في الخط البورقيبي. نلاحظ أن الدور الاثني لم يكن أساسا أو محددا أو فاصلا في انحياز الجنوب الشرقي لصالح بن يوسف على حساب لحبيب بورقيبة.[2]

كان الجنوب اشرقي التونسي أحد النقاط الشائكة في المفاوضات الفرنسية التونسية، حيث كانت فرنسا متمسكة ببقاء الجنوب تحت النفوذ العسكري الفرنسي وانتهت الاتفاقيات على إبقاء مواقع من الجنوب تحت مراقبة الجيش وقوات البوليس الفرنسي لاسيما الشريط الحدودي بين ليبيا وتونس حتى يتسنى لها إحكام قبضتها على منافذ تمويل الثورة الجزائرية بالسلاح والرجال الذين تدربوا في معسكرات ليبيا ومصر قبل التحاقهم بالجزائر ففرنسا كانت

[1] عروسية التركي، المرجع السابق، ص 92.

[2] محمد ذويب، المرجع السابق، ص 150-151.

تنوي جعل منطقة أقصى الجنوب منطقة عسكرية وذلك من خلال عزل المقاومة الجزائرية عن محيطها وخاصة مصر وليبيا المستقلتان حديثا.[1]

وفي جانفي 1956 وقبل مغادرته البلاد التونسية إلى طرابلس عقد صالح بن يوسف اجتماعا بقادة جيش التحرير في شمال إفريقيا في نطاق سياسي جمال عبد الناصر الرامية إلى توحيد "الكفاح المسلح" بالمغرب العربي قصد تسهيل مد المقاومة بالسلاح.

واتصل الطيب المهيري ومحمد بوعبيد بالطاهر لسود ليعلمانه بموعد الاجتماع الذي كان في منزل صالح بن يوسف وحضره إلى جانب هذا الأخير الطاهر الأسود وعلي الزليطي والطيب الزلاق، وعبد الحي وعباس بلغرور (وهما جزائريان، ومحمد البصري من المغرب) وبلغ صالح بن يوسف الحاضرين عن رغبة جمال عبد الناصر في اللقاء بهم للتشاور معهم عن كيفية تمويلهم بالسلاح لتحرير كامل شمال إفريقيا من ربقة الاستعمار الفرنسي.

وبعد رحلة شاقة وصل الطاهر الأسود إلى القاهرة وتم اللقاء بينه وبين فتحي الذيب وجمال عبد الناصر وأحمد بن بلة وبلغرور والمهدي بن عبود لوضع خطة الكفاح المسلح الموحد لنواة جيش تحرير الشمال الإفريقي وسبق هذا اللقاء عدة لقاءات ممهدة لهذا.[2]

وفي فيفري 1956 أصدر الطاهر لسود بيانا جاء فيه: "إننا نعلن على رؤوس الملأ للشعب التونسي والشعب الفرنسي والعالم بأسره أننا أحدثنا على بركة الله جيشا تحريريا وطنيا تونسيا وأن مهمة هذا الجيش هي تحرير وطننا العزيز من قاذورات الاستعمار وأذنا به وقد قررنا ضم جيشنا المبارك إلى جيوش إخواننا الجزائريين والمغاربة".

---

[1] محمد ذويب، المرجع نفسه، ص 151-152.

[2] عروسية التركي، المرجع السابق، ص 93-94.

وعملوا على تأسيس هيكل موحد من طرف مصر لتنظيم الكفاح المسلح وتوحيده بشمال إفريقيا وكانت القيادة العامة بيد الطاهر لسود أما الأمانة العامة أسندت لأحمد بن بلة بينما الأعضاء كانوا من المغرب.[1]

ولدت هذه الاتفاقيات (اتفاقيات الحكم الداخلي 03 جوان 1955) نوعا من النقمة لدى العديد من عناصر قدماء الفلاقة (مقاومي 1952-1954) مما دفعهم للالتحاق بصالح بن يوسف، لأن الاتفاقيات لم تعطهم حق قدرتهم ولم تضمن لهم موارد الرزق التي يستحقونها ولم يروا فيها تونس التي يحبونها والتي ضحوا من أجلها أو لأن هذا النظام الجديد ميز بعضهم على بعض، أو لأنهم ضاقوا ذرعا من حالة التربية والتتبع التي كانوا عليها من قبل الإدارة وخاصة المخابرات العسكرية التي كانت تحصي عليهم حركاتهم وسكناتهم.

وانضمام أهالي المنطقة ومناصرتهم للأمانة العامة لم يكن انسياقا أعمى وراء تيار قادتهم لاعتبارات جهوية وطائفية تشكل وكانوا هم وقوده بل إن هذا الرفض ينم عن إدراك عميق للواقع وينبع من وعي سياسي كبير.[2]

وكان الطاهر لسود يشرف على تسليم السلاح المهرب من ميناء الإسكندرية إلى الشاطئ الليبي ثم نقله الفوري إلى مخزن "التشويق" بزوارة وبعد ذلك يتم توزيعه على فرق متكونة من تونسيين وجزائريين ومغاربة تسهر على تهريبه داخل التراب التونسي حيث يتزود جيش التحرير التونسي لما يحتاجه من السلاح ويتسرب الجزء المخصص لجيش التحرير الجزائري عبر قفصة ومنها إلى الأوراس.[3]

---

[1] عروسية التركي، المرجع السابق، ص 94-95.

[2] محمد ذويب، المرجع السابق، ص 152.

[3] عروسية التركي، المرجع نفسه، ص 95.

المعارك:

معركة أم الحصحاص: وقعت هذه المعركة يوم 15جوان 1954 على الساعة الحادية عشر صباحا وتتمثل الحادثة في ان القائد مصباح الجربوع كلف ثلاثة مجاهدين بجلب ما يحتاجه الثوار من الزاد والذخيرة، واثناء قيامهم بهذه المهمة صادفتهم قوة كبيرة من القومية والمخازنية التابعين لمركز تطاوين ناهز عددهم المئة عون، ونظرا لاستحالة الفرار لثقل حمولة الثوار وترجلهم وقلة عددهم مقابل ركوب الصباحية الخيل وكثرة عددهم، تحتم على المجاهدين المغامرة والدخول في معركة مختلة من حيث موازين القوى لصالح الفرنسيين، فاستشهد خلالها بوبكر بن محمد البوعبيدي وإمحمد بن علي الخرشوفي وتمكن الثالث وهو عبدالله الشاوش من الفرار.[1]

معركة شعاب الشيح: دارت هذه المعركة مباشرة إثر معركة ام الحصحاص، حيث علم الثوار بمقتل رفيقيهما وعزموا على الاخذ بثأرهما فاصطدم الثوار الذين يبلغ عددهم احدى عشر نفرا بقيادة علي بن أحمد المهداوي بقوة عسكرية ضخمة يقارب عددها ثلاثمائة عنصر بين جنود ومخازينة وقومية تساعدهم طائرات استكشاف ورغم اختلال موازين القوى فقد اتخذ المجاهدون مواقع حصينة مكنتهم من انهاء المعركة سالمين وكبدوا القوات الفرنسية خسائر جسيمة تمثلت في ثلاث عشر قتيلا وعشرين جريحا. فكان اهذه المعركة الصدى الطيب حيث ارتفعت معنويات المقاومين وتظافرت جهود الأهالي لدعم الثورة التي التحق بها عدد جديد من المقاومين.

معركة بولسوار مقر: علم الثوار بقيادة مصباح لجربوع في صباح يوم 13 أوت 1954، ان قوة من المخازنية بقيادة ضابط فرنسي سيخرجون للبحث عنهم فاختاروا اماكن

[1] محمد ذويب، المرجع السابق، ص 124.

حصينة وكان عددهم ستة عشر(16)، لما وصلت إليهم القوة الفرنسية على الساعة الثالثة بعد الزوال، دارت بينهما الواجهة وبعد تبادل الطلق الناري جرح مخازني وانسحب الثوار دون خسائر تذكر [1]

معركة أرنيان: تدعمت المقاومة المسلحة خلال هذه الفترة بمتطوعين من المغرب وهما محمد بن جلول وعبد الكبير بن جلون أصيلا مدينة فاس المغربية، وكان يتلقيان تدريبات عسكرية بمصر وأثناء اجتماع ببقية ثوار المنطقة حاولت السلطات الفرنسية حشد قواتها للهجوم عليهم وكان عددهم 42 نفرا بينما بلغ العدد التقريبي للفرنسيين الالفين حسب عمار السوفي، فاستعملت الطائرات العسكرية واندلعت المعركة على الساعة الخامسة والنصف من صباح يوم 11 سبتمبر 1954، وتواصلت إلى حدود الثالثة بعد الزوال واجبر المجاهدين قوات العدوا على التراجع بعد نجاحهم في قتل 4 مخازنية وعدد أخر من الجنود رفضت فرنسا الإفصاح عن عددهم.[2]

السلاح:

تمثل الأسلحة حلقة أساسية في المقاومة المسلحة، ولعبت اللجان السرية الموجودة بمنطقة الجنوب الشرقي التونسي دورا مهما في عمليات تجميع هاته الأسلحة عبر عمليات شرائها أو جمعها بعد التبرع من قبل موطني المنطقة.

تم تشكيل لجان خاصة بتجميع الأسلحة وجلبها وهي مهمة تتميز بغاية الصعوبة والخطورة نظرا لعدم توفر الأسلحة في تلك الفترة ونظرا أيضا لصعوبة التنقل خاصة في ظل انتشار المراقبة التلى تمارسها فرنسا وأعوانها على كامل منطقة التراب العسكري فاعتمد المكلفون بجمع الأسلحة على جهود أهالي المنطقة فكلما سمعوا بامتلاك أحد المواطنين

[1] محمد ذويب، المرجع السابق، ص 124 . 125

[2] محمد ذويب، المرجع نفسه، ص 125

لبندقية صالحة للاستعمال إلا وقصدوه وأقنعوه بالتبرع بها للثورة فتكونت لجان سرية لجمع الأسلحة وكان لها نوابها في كل من جرجيس وغمراسن وتطاوين ومدنين وبوغرارة وجربة والبئر لحمر وكانت تتكون من محمد بن ضو البوبكري، عمر بن موسى، عمر بن محمد، علي بن إبراهيم، عبد اللطيف البارودي، علي بن عمر، بوبكر بن محمد وعمر بن شلبي.

كانت الأسلحة المتوفرة عبارة عن ألغام ومكاحل وخراطيش وقنابل يدوية ومتفجرات يصنعها الأهالي، كانت متوفرة لأهالي المنطقة حيث كان هؤلاء يقومون بجمعها واخفاءها داخل "كنابيت" (جمع كنبوت وهي عبارة عن بيوت كبيرة تنسج من الحلفاء لحفظ الحبوب) لغاية التمويه. ومن الأنواع الأخرى أيضا "المكاحل" التي كانت تشحن "بالخراطيش" وبنادق من بقايا الحرب عالمية الثانية وهي أساسا أسلحة ألمانية وإيطالية وأمريكية، وكان هذا السلاح موجود بكثرة لكن أغلبه كان غير صالح للاستعمال نظرا لغياب الصيانة والتعهد وعدم خبرة الأهالي باستعمال الأسلحة وتقنيات صيانتها والمحافظة عليها هذا إضافة إلى الأسلحة التي كان الثوار يغنمونها من المعمرين حيث أنه ما إن يتم القبض على المعمرين حتى يقومون بافتكاك أسلحتهم.[1]

كان بعض السكان يقومون بصنع القنابل اليدوية من علب الطماطم التي كانت تملأ بالديناميت، أضافة إلى صنع المتفجرات من نفس المادة أي علب الطماطم وذلك بحشوها بالديناميت والأسلاك والبخّارة.

يذكر الطاهر لسود في شهادته أن قادة الديوان السياسي أمدّوه بمبلغ خمسين دينار (50 دينار) وألة تكبير (نظارات هندية) ومقص لقصّ الاسلاك ومنشار لقطع أعمدة الهاتف وذلك لإعانته على جمع السلاح والإمدادات لفلاقة المنطقة.

[1] محمد ذويب، المرجع السابق، ص 114 . 115

هناك عنصر أخر اقليمي دخل على الخط إضافة إلى الوضع المحلي، وساهم هذا العنصر مساهمة فعالة في توفير كميات من الأسلحة وهو مجريات الاحداث في ليبيا بعد انسحاب إيطاليا منها حيث أصبحت ليبيا بمرور الزمن وخاصة بعد استقلالها في 24 ديسمبر 1951 تلعب دورا رئيسيا خاصة في تهريب الأسلحة من أرضيها إلى تونس مرورا بمدينة بن قردان التي لعبت دور همزة الوصل بين الطرفين فلعب بعض أهالي المنطقة الموجودين بالقطر الليبي دورا كبير في تهريب الأسلحة بين القطرين التونسي والليبي على غرار عبد الله العبعاب وعائلة شندول الذين استغلوا حالة الفوضى التي أصبحت عليها الحدود الجنوبية للمنطقة الناجمة عن انتقال ليبيا من دولة مستعمرة إلى بداية تركيز نواة الدولة الناشئة لجلب كميات هامة من الأسلحة التي استغلها الفلاقة في معاركهم ضد المستعمر الفرنسي.[1]

كانت الأسلحة في أغلبها قديمة وتقليدية وهي عبارة عن مجموعة من الألغام والمتفجرات والقنابل اليدوية المحلية الصنع وحتى إن وجدت أنواع أخرى من الأسلحة فإنها لم تذكر في استجوابات المناضلين الذين لم يدلوا في شهاداتهم بأنواع القنابل أو حتى البنادق وذلك عائد أساسا لتدني المستوى التعليمي لأغلبهم، لكن منذ انطلاق "الثورة الثانية " أو اليوسفية سوف تعرف البلاد توافد المزيد من الأسلحة الحديثة (حسب تصنيف تلك الفترة طبعا) على غرار المدافع والرشاشات والقذائف المضادة للدبابات والمسدسات التي تواجدت بكميات كبيرة.

كان الطابع الكلاسيكي لهذه الأسلحة إضافة إلى ندرتها يفسر بوضوح اختيار الثوار لنوع المواجهات مع المستعمر وإتباعهم طابع المباغتة والكر والفر وحرب العصابات في

[1] محمد ذويب، المرجع السابق، ص 115 . 116

هجومات لتيقنهم من اختلال موازين القوى لفائدة القوات الفرنسية وأعوانها الذين كانوا مدججين بالأسلحة الحديثة مقارنة بتلك التي كانت بحوزة التونسيين.[1]

[1] محمد ذويب، المرجع السابق، ص 116

المبحث الثالث: صراع صالح بن يوسف ولحبيب بورقيبة:

1/ بروز الخلاف بين صالح بن يوسف ولحبيب بورقيبة:

جمع بعض المؤرخين خاصية التونسيين منهم جذور الصراع البورقيبي اليوسفي الى عالقة 1947، أين شهر انشقاق داخل الحزب الدستوري الجديد، وذلك بسبب اختلاف تشكيلة الحزب الأيديولوجية، حيث جمع الديوان السياسي في الحرب كل من الشيخ الفاضل بن عاشور والأستاذ صالح بن يوسف وسليمان بن سليمان والهادي نويرة، وانعكست هذه التشكيلة على مواقف الحزب الحر الدستوري الجديد. فظهرت وجوه عديدة طائفية تنادي بالاستقلال التام، وكان ذلك في مؤتمر ليلة القدر 1946، وأطراف أخرى تنادي بالحكم الذاتي وكانت هذه الأطراف من أنصار الحبيب بورقيبة ويرجع ونرجع ذلك من خلال خطاباته التي القاها بالقاهرة 1955 . 1956.[1]

والي قيدها وذكرها في كتابه "حياتي، أفكاري، كفاحي" إلى هجرته الى المشرق مؤمرة دبرها "صالح بن يوسف" لإبعادها عن الساحة الوطنية والسياسية، كما أتهم "بورقيبة" بن يوسف" بالتقصير في إرسال المال أثناء تواجده في القاهرة، كما اعتبر بورقيبة مؤتمر "دار سليم في 17 أكتوبر 1948 والذي كان هدفه حل النزاع القائم بين أعضاء الحزب حول القيام بعض من رجال الحزب بتقربهم من البرجوازية والقصر الحكومي وإهمالهم العمل القاعدي، فكان هذا المؤتمر في نشر بورقيبة محاولة من صالح بن يوسف لإبعاده، فكان رجوع بورقيبة لتونس سنة 1949 بهدف وضع حد لخيانة مصالح بن يوسف والمنجي سليم".[2]

[1] مؤتمر ليلة القدر هو مؤتمر جمع مختلف القوى والشخصيات الوطنية ليلة القدر 23 أوت 1946، وكان بدعوة من صالح بن يوسف. أنظر: المنصف الشابي، المصدر السابق، ص 106.

[2] عروسيه التركي، المرجع السابق، ص 43.

اعتبر مؤتمر ليلة القدر أول اجتماع درست فيه القضية التونسية بشكل واضح، وطالب فيه التونسيين بالاستقلال التام من فرنسا وكان الزعيم صالح بن يوسف رائد هذا القرار، لكن السلطات الفرنسية اوهمتهم أثناء تلاوة لائحة المؤتمر الطالبة بالاستقلال، ولأول مرة وبكل وضوح طالب استقلال البلاد التام وأعلن من خلال هذا المؤتمر انضمام تونس الى جامعة الدول العربية.

تأكد الحبيب بورقيبة من المؤمرة التي حيكت ضده إثر انعقاد مؤمرة "دار سليم "الذي دعا اليه مصالح بن يوسف أثر رجوعه من مصر في أكتوبر 1948 حيث عين فيه الحبيب ثامر نائبا البورقيبة بينما تولى صاغ بن يوسف الأمانة العامة[1].

لقد أثارت اتفاقيات الاستقلال الداخلي لتونس ردود فعل متباينة ومتضاربة داخل القوى الوطنية، وفي صفوف الرأي العام التونسي، حيث أفرزت عن أطراف يقف بعضها متحالفا مع بعض ومتصادما مع البعض الأخر، ويمكن اختصار هذه الأطراف في بورقيبة في كطرف رئيسي متحالف مع فرنسا من مصلحتها تمرير الاتفاقيات، يقابل هذا الطرف الفرنسي البورقيبي طرف مضاد يقف في مقدمته الأمين العام للحزب الدستوري التونسي صالح بن يوسف، وتسانده مجموعة من المعارضين لسياسة بورقيبة، مثل بعض المقاومين الذين رفضوا تسليم سلاح المقاومة وجمع من المناضلين ممن عارضوا هذه الاتفاقية[2].

وعند بداية المفاوضات وشرط فرنسا على تونس تسليم السلاح مقابل بدا المفاوضات، وموافقة بورقيبة على الشرط كما ذكرت سابقا مما أدى إلى ظهور خلاف بين هذا الأخير وبين صالح بن يوسف الذي كان يشرف على هذه الوحدات، واعترض على نزع السلاح قبل المفاوضة أمام هذا التعارض بين وجهتي الزعيمين اضطرت فرنسا من الناحية العلمية إلى

[1] عروسيه التركي، المرجع السابق، ص 92.

[2] عروسي التركي، الحركة اليوسفية في تونس 1955 .1956، المرجع السابق، ص 53.

عدم الإصرار على هذا الشرط وبدأت المفاوضات ووضعت الإقامة العامة شروطا جديدة لإنهاء القتال في تونس. وأصدرت بلاغا مشتركا مع الحكومة التونسية في نوفمبر 1954 يضمن سلامة التونسيين بعد تسليم أسلحتهم، ووافق بورقيبة على ذلك، ليزيد الخلاف بينه وبين صالح بن يوسف [1] وبعد سقوط حكومة منداس فرانس كما ذكرا سابقا واصل ادغارفور رئيس الحكومة الفرنسية للحبيب بورقيبة رئيس الحزب الدستوري الجديد وعقد جلسة ختامية للمفاوضات يوم 21 أفريل 1955، وحصل الاتفاق الأول بين الطرفين المتفاوضين على توقيع الاتفاقيات في أجل أقصاه 30 ماي 1955، وبفعل وقع عليها بالحرف الأولى يوم 24 ماي 1955 ووقع عليها رسميا في 03 جوان 1955 بباريس وصادق عليها الباي ورجوع بورقيبة لتونس كما ذكرتهما سابقا وحتى رجوع صالح بن يوسف لتونس أيضا لكن الخلاف برز بعد مدة للعيان [2].

الاتفاقيات خطوة إلى الامام (موقف بورقيبة):

يذكر المناضل حسين التريكي[3] في شهادته: "ان الحبيب بورقيبة كان متواطئا في تنفيذ الاتفاقيات ورفض الاستقلال التام، لان المطالبة بذلك ستؤدي به الى سنوات وفترة طويلة من الكفاح، في حين كان مستعجلا للانفراد بحكم تونس". ومما لا شك فيه أن هذا المنجى الذي أراده بورقيبة هو الذي جعل فرنسا تراهن عليه في تمرير الاتفاقيات، خاصة بعدما أفصح عن عدم اكتراثه بجذوره وأصالته من خلال تصريحاته الصحفية المثيرة، فعن موقفه اتجاه

[1] جلال يحي، العالم العربي الحديث والمعاصر، ج3، المكتب الجامعي، الإسكندرية، 2003، ص 220 . 221

[2] براكني عبد الباقي، شلالي عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 82 . 83

[3] ولد بالمنستير سنة 1915، أنظم ألى الحزب الحر الدستوري مبكرا وعند انتقاله للقاهرة أصبح من أهم العناصر الوطنية النشيطة ضمن مكتب المغرب العربي. وخلال فترة الصراع اليوسفي البورقيبي اصطف حسين التركي إلى جانب صالح بن يوسف، وكان بمثابة العضد الأيمن له، حيث ظل ملازما له في مواقفه المعارضة للاتفاقيات التونسية الفرنسية المتعلقة بالاستقلال الداخلي لتونس، وحكم عليه بالإعدام غيابيا من طرف النظام البورقيبي، ولم يعف عنه بورقيبة إلا في سنة 1962، توفى سنة 2012. أنظر: عبد الحفيظ موسم، المرجع السابق، ص 252.

الجامعة العربية صرح لجريدة "كومبا" الباريسية قائلا: "إن ما يربطنا بالعرب ليس إلا من قبيلة الذكريات التاريخية، وأن من مصلحة تونس أن تربط بالغرب وبفرنسا بصورة أخص، وأن مرسيليا أقرب إلينا من بغداد ودمشق أو القاهرة، وأن اجتياز البحر المتوسط أيسر لنا من اجتياز الصحراء الليبية".

فمن خلال شهادة حسين التريكي، وبناء على تصريحات لحبيب بورقيبة، يتضح لنا أن هذا الأخير كان على عجلة من امره من أجل الوصول الى كرسي الحكم بأيسر الطرق وفي أقرب وقت ممكن، خاصة وأن عمره قد تجاوز العقد الخامس، كما أن مواصلة المقاومة تؤجل حلمه الى سنوات أخرى، لذلك نجده يؤيد اتفاقيات الاستقلال الداخلي ويعتبرها "خطوة الى الامام "نحو استعادة الوطنية كاملة [1]

لقد أدرك بورقيبة أن اتفاقيات الاستقلال الداخلي خطوة الى الامام لمساهمتها في استكمال مقومات الهوية الوطنية، فوضع تونس مع اتفاقيات الاستقلال الداخلي هو أفضل من وضعها قبل ذلك ومن ثمة تفتح هذه الاتفاقيات الباب على مصارعه للظفر بالاستقلال التام. وقد كان الحبيب بورقيبة من بين الذين نددوا بصفة علنية بسياسة الكتلة الافروأسيوية، إذا يعتبر أن الحياد يمكن أن يبدو الوضع المريح للبلاد حديثة الاستقلال، مبرر ذلك بأن الحياد يكون موضع للمساومة المربحة مما يجعل القوى الكبرى تتنافس لطلب رضاها. وكان موقف بورقيبة من الحياد سلبيا نظرا لان البقاء موقف الحياد يعني الاستقالة من كل اسهام في الفعل الإنساني، ورفض مواجهة التحديات العالمية المفروضة، وهذا الموقف مناف ومغاير لموقف صالح بن يوسف الذي يرى في الحياد موقفا إيجابيا. ومن هذا المنطلق لم يعد ممكننا أن يلتقي الزعيمان في قيادة موحدة فتناقض بينهما جوهري وكلاهما يحمل مشروعا مجتمعيا يختلف كليا عن الاخر، وكان ذلك إيذانا بانطلاق مرحلة جديدة تتسم

[1] عبد الحفيظ موسم، المرجع السابق، ص 58 . 59

بالصراع حول كرسي الحكم داخل الحزب الدستوري التونسي الجديد. ولم يكن من السهل تجاوز هذه الازمة التي تطورت الى حرب مفتوحة بين التيار البورقيبي والتيار اليوسفي.[1]

إضافة الى ما سبق يعتبر بورقيبة الامتيازات التي أقرتها الاتفاقيات لفرنسا والفرنسيين، هي وليدة حاجة تونس إلى فرنسا لضمان أمن البلاد وازدهار وتطور شعبها، لذلك كان يدعو إلى تأييدها باعتبار أنها تساهم في التقدم بالبلاد نحو التحرر الكامل. [2]

الاتفاقيات خطوة الى الوراء (موقف صالح بن يوسف):

أوردت جريدة الصباح في عددها الصادر يوم 20 فيفري 1954 نص الرسالة التي بعثها صالح بن يوسف إلى المنجي سليم بتاريخ 14 فيفري 1954، ومما جاء فيها ما يلي "إني جعلت الهدف الذي نكافح من أجله داخل البلاد وخارجها هو الاستقلال والسيادة الكاملة ولم نكن في ذلك إلا منفذين لقرار المؤتمر التاريخي الحزبي المنعقد يوم 18 جانفي 1952، والذي نادى بوجوب الغاء الحماية والاعتراف باستقلالنا التام كأساس وحيد لحل المشكل التونسي".[3]

إذا كانت اتفاقيات الاستقلال الداخلي قد استجابة بدرجة كبيرة لما كان يطمح اليه بورقيبة باعتبار انها توخت من خلال مضمونها إرضاء رغبة الحركة الوطنية في المحافظة على الذاتية التونسية، فإنها لن تنال رضا صالح بن يوسف بحكم احتوائها على ضمانات حقيقية للحفاظ على مصالح فرنسا في تونس، وهو ما يعتبر في حد ذاته مسّا بالذاتية التونسية وبالسيادة الداخلية للدولة التونسية.

[1] براكني عبد الباقي وشلالي عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 83 . 84

[2] عبد الحفيظ موسم، المرجع السابق، ص 60

[3] براكني عبد الباقي وشلالي عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 84

ففي الوقت التي كان فيه صالح بن يوسف منشغلا بالمشاركة في مؤتمر باندونغ بأندونيسيا، وقع امضاء اتفاقيات الاستقلال الداخلي لتونس بين الحكومتين التونسية والفرنسية ولما بلغه نبأ توقيعها أعلن من باندونغ في تصريح له: " ان الشعب العربي في تونس يرفض المعاهدة التي وقعها بورقيبة جمعته مع فرنسا ...، ان هذه الاتفاقية تنص على ان فرنسا لها الحق وحدها في التصرف في مصيرنا الخارجي والدفاعي، وأن الدولة التونسية تلتزم بأن تسخّر لفرنسا البلاد وأهلها اذا ما احتاجت لفرنسا لذلك ...، ان الشعب التونسي يرفض تلك الاتفاقيات وهو عازم على احباطها بجميع ما لديه من وسائل" .[1]

هذه الاتفاقيات اعتبرها صالح بن يوسف" خطوة إلى الوراء" باعتبار الظرف الذي قدمت فيه، ألا وهو وجود فرنسا في موقف حرج [2] يسمح بمزيد من ممارسة الضغط عليها، لذلك نجده يعلن عن رفضه القاطع لها منذ أن بلغه خبر توقيعها وهو في باندونغ، ثم تواصلت معارضته لها من القاهرة وحتى من تونس بعد عودته اليها كما ذكر في السابق، اذا نقرأ في تصريحه لمجلة المصور المصرية، المدون في إحدى الوثائق الارشيفية التابعة للمصلحة التاريخية لأرشف جيش البر الفرنسي ما يلي: "إن معارضتي للاتفاقيات الفرنسية التونسية تستند الى القانون الدولي الذي ينص على أن المعاهدات لا تصبح نافذة ملزمة للشعب والحكومة اللذان (هكذا) وقعا عليها، إلا بعد دراستها من قبل برلمان شرعي ممثل للشعب ...، فلو عارض الشعب التونسي أو ممثلوه الشرعيون هذه الاتفاقيات، فإنها تصبح خارج الشرعية الدولية...، وعلى هذا الأساس فإن معارضتي نابعة في حقيقتها من المبادئ الوطنية المشتركة بين جميع الشعوب المناضلة من أجل الحرية والاستقلال ..."

---

[1] عبد الحفيظ موسم، المرجع السابق، ص 60

[2] خلال هذه الفترة انهزمت فرنسا عسكريا أمام القوات الفيتنامية بقيادة هوشي منه في معركة ديان بيان فو، وفي الجزائر اندلعت ثورة عنيفة ضدها في الفاتح نوفمبر 1954، هذا فضلا عن ارتفاع حدة التوتر واشتداد ضراوة المقاومة المغربية ضد الاستعمار الفرنسي بالمغرب الأقصى. انظر: عبد الحفيظ موسم، المرجع نفسه، ص 60

لقد حمل صالح بن يوسف الزعيم الحبيب بورقيبة مسؤولية التوقيع على الاتفاقيات الفرنسية التونسية، وقام بنقد منهجي لمحتواها، معتبرا إياها "خطوة إلى الوراء " وخيانة للشهداء ولمجاهدي الجزائر وتونس، باعتبار أنها جعلت تونس مرتبطة بفرنسة ضمن نظام الوحدة الفرنسية . التونسية، واعترفت لفرنسا رضاء بحق إدارة الشؤون تونس الخارجية وتولي أمور الامن والدفاع واللذان يعتبران من المقومات الأساسية لسيادة أي دولة من الدول.[1]

هذه الاعتبارات هي التي جعلت صالح بن يوسف يقر أّن الاتفاقيات تمثل" خطوة إلى الوراء"، لذلك اشتدت معارضته لها خاصة بعد عودته إلى تونس. ودخل بذلك في صراع مع الطرف البورقيبي الفرنسي الذي أيد مضمون الاتفاقيات.[2]

كما عقد اجتماعا عاما في جامع الزيتونة في07 أكتوبر 1955 كما ذكرت سابقا وأن الخطاب تلك ساهم في احتدام حالة الازعاج ولعدة أطراف وعلى راسهم المندوب السامي الفرنسي روجي سيدو، فسارع بورقيبة إلى عقد اجتماع للديوان السياسي يوم 07 أكتوبر 1955 مساءا واتخذ عدة قرارات أبرزها: . تجريد الاستاذ صالح بن يوسف من منصب الأمانة العامة ومن عضوية الحزب وقد أوردت جريدة الصباح القرارات التي اتخذها الديوان السياسي الذي ذكرت في السابق ورد عليهم بن يوسف ان تجريده من هذا المنصب هذا القرار لم يكن صادر عن ذي أهلية أو صلاحية حسب حزبنا ... وأصبح يلقى في الخطب أمام الجماهير من شرفة منزله في الأيام الأولى من تجريده من منصبه ورغم هذا يتزايد عدد الوافدين حيث أوردت جريدة الصباح ان صالح بن يوسف نزل الى حديقة منزله لمقابلة الجماهير كما ذكر سابقا ..."[3]

---

[1] عروسيه التركي، المرجع السابق، ص 60 . 61

[2] المرجع نفسه، ص 62

[3] براكني عبد الباقي وشلالي عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 84 . 85 .86

يبرز طبيعة المرحلة التي شهدتها الحركة الوطنية التونسية، والتي لا تخرج عن حدود الصراع السياسي، كما يعبر عن تغيير لهجة صالح بن يوسف الذي صعد من موقفه المعارض للتيار البورقيبي دون اللجوء الى العمل المسلح كما وضحه في خطابه بتاريخ 18 أكتوبر 1955 بمنزله حيث يقول: " انهم يقولون اني ادعوكم الى الكفاح وحمل السلاح بمعارضتي للاتفاقيات ولكن هذا خطأ لأني إنما ادعوكم عن التعبير عن رأيكم فيها، وان تطلبوا من ممثلكم . إذا ما اتفقتم معي في الرأي . ان يفرضوا على الحكومة اجراء مفاوضات جديدة لتدارك الأخطاء وتصحيح الوضع .[1]

وبناء على ما سبق، يمكننا القول إن اتفاقيات الحكم الذاتي التي تم توقيعها بين الحكومتين التونسية والفرنسية، والتي تحصلت تونس بموجبها على الاستقلال الداخلي، قد شكلت منعرجا سياسيا وتاريخيا كبير في تاريخ الحركة الوطنية التونسية التي كان يقودها الحزب الدستوري الجديد بزعامة لحبيب بورقيبة، لأنها سمحت بانفجار كل التناقضات الإيديولوجية والسياسية والشخصية التي كانت الحركة الوطنية قد طمستها خلال مرحلة تأطيرها وتجنيدها لكل القوى الحية من أجل خوض معركة التحرر الوطني والظفر بالاستقلال[2]

هكذا إذن تفجر الصراع بين جناح الحبيب بورقيبة رئيس الحزب الحر الدستوري الجديد، الذي كان من أشد المدافعين عن التسوية السياسية مع الاستعمار الفرنسي، وجناح صالح بن يوسف الأمين العام للحزب الذي كان من أشد المعارضين لهذه التسوية، ومنذ حينئذ ولدت الحركة اليوسفية التي كان صالح بن يوسف أحد عناصرها ومكوناتها، ثم ما لبثت ان أصبحت تضم تيارات فكرية وأحزاب سياسية ومنظمات نقابية وعناصر وطنية تؤمن

[1] براكني عبد الباقي وشلالي عبد الوهاب، المرجع السابق، ص86

[2] توفيق المدني، المعارضة التونسية نشأتها وتطورها (دراسة)، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2001، ص 14

بالكفاح المسلح، وقطاعات شعبية عريضة متناقضة مع نهج الحبيب بورقيبة المساوم مع الاستعمار الفرنسي [1]

مؤتمر صفاقس وانعكاسه على الصراع:

قرر الديوان السياسي للحزب عقد مؤتمر نظامي للحزب الدستوري الجديد يوم 15 نوفمبر 1955 بناء على القرار الصادر بتاريخ 07 أكتوبر 1955، قد توصلت أعماله الى غاية 18 نوفمبر 1955 شاركت فيه 31 جامعة دستورية من مختلف أنحاء البلاد مثلها 1239 كاتبا يمثلون مختلف شرائح المجتمع. كما حظر أشغال هذا المؤتمر عدة شخصيات من مصر، العراق، وليبيا وأندونيسيا والهند، وأبدت موقفها من الاتفاقيات ولكن كخطوة نحو الاستقلال. وأبرزت اللائحة السياسية للمؤتمر مساندتها للديوان السياسي الذي قاد الحركة الوطنية داخل البلاد وخارجها، وأنه قد أدى الأمانة أحسن أداء.

كما سجلت منح المؤتمر كامل الثقة لرئيس الحزب والديوان السياسي لمواصلة مجهود النهوض الديمقراطي الرامي لتحرير البلاد التونسية في كل المجالات، كما أعلنت اللائحة السياسية أن الاتفاقيات الفرنسية ما هي ألا خطوة ألي الامام نحو الهدف الأسمى الاستقلال التام. وبذلك يكون بورقيبة قد نجح في حشد التأييد الداخلي والخارجي لموقفه من الاتفاقيات الاستقلال الداخلي وأعطى لنفسه الشرعية ليشرع في مرحلة أخرى وهي العزل النهائي لصالح بن يوسف من الساحة السياسية التونسية. وهنا نشير أن صالح بن يوسف قد دعي لحضور المؤتمر لكنه لم يحضر، فقرر المؤتمر عزل صالح بن يوسف، وجعله خارجا عن القانون،

[1] عبد الحفيظ موسم، المرجع السابق، ص 66

وبنهاية أشغال المؤتمر تفجر الصراع بين قطبي الحزب والذي شمل كل فئات المجتمع، وسرعان ما تحول من الكلمة إلى السلاح فسالت الدماء، وازهقت الأرواح. [1]

لقد قبل مؤتمر صفاقس واتفاقيات الحكم الذاتي كخطوة أولى ألي نحو الاستقلال التام، بينما رفض صالح بن يوسف قرارته ونادى بالاستقلال التام، وهو الذي سعى منذ الوهلة الأولى الى أبطال هذه الاتفاقيات من خلال تحريض الشعب لرفضها فاتجه إلى مرحلة جديدة لمواجهة خصمه بورقيبة تمثلت في الانتقال من الدعاية (خطب، لقاءات، ...) ألي التنظيم السياسي ثم العسكري.[2]

أصبح صالح بن يوسف زعيما لحركة المعارضة في تونس فكانت معارضته الأولى الاتفاقيات ثم معارضته لسياسية لحبيب بورقيبة في تونس وانعكاساتها على مستقبل البلاد بداية من سنة 1954، والذي تلقى الدعم الكبير من طرف العديد من الجهات من بينها القصر الملكي وطلبة وخرجي الزيتونة والدستوريين القدامى، لأنه ليس من المعقول أن يكون صالح بن يوسف زعيما للحركة المعارضة دون أي دعم حيث بالفعل تلقي الدعم من جانب قيادات الحزب الدستوري ذوي الاتجاه القومي المعروف وخاصة يوسف الروسي[3] الذي يعتبر مشاركة بن يوسف في حكومة المفاوضات على أساس غير استقلال خيانة للالتزامات القومية والوطنية.[4]

كما تلقى صالح بن يوسف بدوره زعيم الحركة المعارضة لدعم أيضا من مندوب الحزب الدستوري الجديد في القاهرة "ابراهيم طوبال" الذي وقف جانب صالح بن يوسف حيث

---

[1] براكني عبد الباقي وشلالي عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 86 . 87

[2] المرجع نفسه، ص 87

[3] مناضل تونسي ولد 1907م، بمدينة قابس، توفى عام 1958م، درس بالزيتونة وساهم في نشاط الحزب الدستوري الجديد ومكتب المغرب العربي ببرلين ودمشق والقاهرة. انظر: عروسيه التركي، الحركة اليوسفية...، المرجع السابق، ص 69.

[4] المنصف الشابي، المصدر السابق، ص 161

أصبح الممثل الرسمي للحزب الدستوري الجديد في لجنة تحرير المغرب العربي، وكانت لجنة تحرير المغرب العربي قد عقدت في القاهرة بتاريخ 14 أكتوبر 1955 واتخذت القرارات التالية اتصل الديوان السياسي للحزب ورئيسه من عضوية اللجنة في اعتبار أن السلطات التابعة للديوان السياسي قد انتقلت تلقائيا الى يد الأمين العام "الصالح بن يوسف " والذي بقي محافظا على المبادئ الاستقلالية التي تنظم على أساسها الحزب الى لجنة تحرير المغرب العربي .

يبقى ممثل السيد صالح بن يوسف "ابراهيم طوبال" والممثل الرسمي للحزب الدستوري في لجنة تحرير المغرب العربي إلى أن يتمكن الحرب من البث لي مصير الديوان السياسي الحالي.[1]

ونتج عن معارضة صالح بن يوسف لاتفاقية الاستقلال الداخلي قيام معركة عنيفة بين "اليوسفيين" و"البورقبيين" وقد دفعت هذه الانشقاقات والصرعات بالحزب الحر الدستوري الجديد بأن يتشدد في مواقفه تجاه فرنسا حيث ساعدته الثورة الجزائرية كثيرا في تشدده الذي أرغم فرنسا على تقديم تنازلات للتونسيين.[2]

تطور الصراع البورقيبي اليوسفي:

قام التيار بعقد اجتماع بتونس العاصمة بعد يومين من نهاية اشغال المؤتمر حضره حوالي 20 ألف مؤيدا، ادخلوا الرعب في قلب بورقيبة والسلطات الفرنسية، وانطلق بعدها بن يوسف في جولة داخلية أخرى بحثا عن مؤيدين لوجهة نظره، طالت تلك الجولة مناطق في الجنوب التونسي التي تعتبر مركز ثقل اليوسفيين. وسيكون الجنوب التونسي مجالا خصبا

[1] أحمد توفيق المدني، المعارضة اليوسفية وتطوراتها، منشورات الكتاب العربي، دمشق، 2001، ص 118.

[2] محمد الهادي الشريف، المصدر السابق، ص 137 . 138.

للصراع بين الجناحين اليوسفي، والبورقيبي، وقد كان هدف صالح بن يوسف اختيار مدى تصميم الشعب على مواصلة الكفاح.

وقد تحصلوا على الكثير من الوثائق الارشيفية التي تتكلم عن تنقلات بن يوسف في الجنوب وتجنيده لمؤيدين جدد لفكرته الرامية لرفض اتفاقيات الاستقلال الذاتي وعدم الاعتراف بقرارات مؤتمر صفاقس، فقد شعر بن يوسف بالخطر فكثف من اتصالاته المباشرة بالجماهير الشعبية، فعقد الاجتماع تلو الاخر مكررا في كل مرة موقفه من الاتفاقيات التي سماها اتفاقيات بورقيبة، مدعما موقفه بالدعم الدولي (مؤتمر باندونغ، الجامعة العربية، هيئة الأمم المتحدة ...).[1]

وكثير ما تعرضت الاجتماعات التي كان يعقدها صالح بن يوسف الى حملات التشويش واعمال العنف الى حد القتال بين الدستوريين الفرقاء، وذلك قصد اجباره الى الامتثال لقرار الطرد من الحزب. وقد حمل صالح بن يوسف في ندوته الصحفية بتاريخ 04 نوفمبر 1955، الديوان السياسي مسؤولية أعمال العنف قائلا:" إني اتهم صراحة الديوان السياسي بإعداد عصابات مسلحة تضم رجالا لا وازع لهم ولا ضمير دفعت لهم مبالغ طائلة ... ليفرضوا ارهابهم على الرأي العام".

كما قام بورقيبة أيضا بجولة الجنوب يشرح فيها أهدافه وسياسته ويدافع عن اتفاقيات الاستقلال الداخلي، وفي احدى القرى المنجمية بالرديف كاد أن يقتل بعد أن حاصرت مجموعة من بن يوسف مقر اجتماعه، ولكنه نجى بفضل تدخل القوات الفرنسية التي كانت موجودة بالمنطقة باعتبارها منطقة تقع بالقرب من الحدود الجزائرية.

[1] براكني عبد الباقي وشلالي عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 87

ولقد حمل الحبيب بورقيبة صالح بن يوسف المسؤولية الكاملة. وذلك في خطابه بنابل بتاريخ 02 ديسمبر 1955 "إن المسؤول عن سيلان الدماء هو تشبث بالأمانة العامة بارتباطها بالحزب الدستوري التونسي، في الوقت الذي لم يعد بينهما أي ارتباط فالدعوة لمواصلة الكفاح، ورفض اتفاقيات الحزب بريء منها.[1]

وفي 03 ديسمبر 1955 جرت أحداث دامية في جربة بين الجناحين لما أرادت أقلية من أنصار بن يوسف تخريب المنصة العدة لالقاء بورقيبة خطابه منها، ألا أن منظموا الاجتماع حالوا دون ذلك، وهو ما تثبته الوثيقة التي تحصلوا عليها من الأرشيف الوطني التونسي، وعاد بعدها بورقيبة العاصمة كما ذكرت سابقا ولكنه عزم ان يضرب خصومه بقوة وبيد من حديد. كما حمل الباجي قايد السبسي في مذكراته المهم والأهم صالح بن يوسف الجزء الأكبر من مسؤولية الصراع على خلفية التصريح الذي أدلى به صالح بن يوسف قائلا:".... إن صراعي مع بورقيبة لن يتوقف حتى لو سال الدم، وحتى ولو فاض ووصل حد الركبتين.

ومن هنا تزايد أعمال العنف التي عمت البلاد مع تحميل المسؤولية لصالح بن يوسف الذي كاد أن يفقد حياته في 01 ديسمبر 1955 عندما استهدفت سيارته لحسن حظه لم يكن في السيارة فذهب سائقه علي بن إسماعيل ضحية لذلك، وقد أوردت جريدة الصباح في 04 ديسمبر 1955 بأن بورقيبة هو الأخر تعرض لعمل مماثل لصالح بن يوسف إذا ذكرت " بأن بورقيبة تعرض لإطلاق رصاص على سيارته فأصيب مرافقه ..." وهكذا شرع أنصار بورقيبة وأنصار بن يوسف في ممارسة العنف وكل له تبريراته وأسبابه وحججه، وكل هذا في ظل صمت الحكومة التونسية على هذه الأعمال .[2]

[1] براكني عبد الباقي وشلالي عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 88

[2] المرجع نفسه، ص 88

تحول الخلاف والصراع من سياسي إلى عسكري:

ومنه نستنتج أن" بورقيبة "وجد الفرصة المناسبة للقضاء عمى خصومه خاصة " صالح بن يوسف"، ليتطور الخلاف بين اليوسفيين والبورقبيين إلى استعمال العنف والاغتيالات المتبادلة خاصة وأن اليوسفيين كَونوا منذ أواخر1955 عصابات مسلحة يقودها " الطاهر الأسود ' و"الهادي قدورة " وناصر الوصيف " و"عبد اللطيف زهير " كانت تنشط بالتعاون مع وحدات جيش التحرير الوطني الجزائري ضد رموز الاستعمار وخصومهم من البورقبيين [1]وتواصمت المعارك بين الإخوة الفرقاء حتى صائفة 1956 سقط خلالها اكثر من 1000 قتيل من اليوسفيين، منهم عدد قليل من البورقبيين بسبب تدخل الجيش الفرنسي ضد "صالح بن يوسف" ، وهذا العدد من القتلى هو ضعف شهداء تونس خلال مرحلة الثورة المسلحة ضد فرنسا التي استغرقت أقل من ثلاث سنوات وهو كذلك يفوت عدد شهداء تونس الذين استشهدوا من بداية الحلمة الفرنسية 1881 إلى تاريخ بداية المفاوضات1954 [2] ونتيجة تصاعد القتال بين الطرفين قررت السلطة التونسية إلقاء القبض على" صالح بن يوسف ' ولما علم بهذا القرار عن طريق أعوانه التحق بطرابلس ثم القاهرة، وواصل كفاحه من هناك ليتوقف الصراع بينهما الذي كاد أن يؤدي إلى حرب أهلية.[3]

حيث يقول المقاوم "صولة بالصادق" ثم ملنا الى بن يوسف، وقابلناه في قابس سنة 1955 وقد حضر سي الطاهر الاسود ذلك الاجتماع واتفقنا على الرجوع الجبال من أجل الاستقلال التام ". مع العلم أن الطاهر الأسود رفض إلقاء السلاح معلنا رفضه للاتفاقيات واعتبر ذلك تنكر لمبادئ الحزب وخيانة للجزائر في ظرف حرج وذلك سنة 1954.

[1] عز الدين معزة، المرجع السابق، ص 342

[2] الصافي السعيد، المصدر السابق، ص 205

[3] الطاهر عبد الله، المصدر السابق، ص 130

إن التقاء صالح بن يوسف، والطاهر الأسود حول فكرة الاستقلال التام ورفض الاستقلال الداخلي، وبالتالي التقاء الجناح السياسي بالجناح العسكري لتصبح بذلك الحركة اليوسفية، حركة منظمة رسمت الاستقلال التام هدفا لها، حيث رافقه الطاهر الأسود وحضر معه أغلب الاجتماعات التي عقدها، أما العمليات العسكرية لصالح بن يوسف أو ما أصبحوا يسمون بالفلاقة الجدد، لقد بدأت في جانفي 1956 باشتباكات مع القوات الفرنسية بمناطق الجنوب وعلى الحدود التونسية الجزائرية في فترة اشتد فيها نشاط جيش التحرير الجزائري في مقاومة الجيش الفرنسي، وهكذا بدا يلوح في الأفق مشروع تعاون وتشارك المقاومة الجزائرية المسلحة بالمقاومة المسلحة التونسية .[1]

وقد تدعم هذا التضامن بين الثوار الجزائريين والثوار التونسيين بتكوين جيش التحرير المغاربي المشترك الموحد الذي استندت فيه القيادة العامة لجيش تحرير شمال إفريقيا الى الطاهر الأسود أما الأمانة العامة فقد استندت لأحمد بن بلة بينما الأعضاء كانوا من المغرب. ونتيجة لتزايد نشاط الحركة اليوسفية لجأ الديوان السياسي والحكومة التونسية الى محاولة إفراغ الحركة من قواعدها من خلال استخدام وسائل أغرائية أحيانا والضغط أحيانا أخرى، حيث تم توزيع رخص بيع التبغ ورخص التجارة وأخرى للبطالين، ورخص سيارات الأجرة للفلاقة القدامى، [2]

ثم توزيع مساحات من الأراضي عليهم، حيث قدمت جريدة الصباح بعض الإحصائيات بهذا الخصوص بأن عدد المستفيدين بلغ 2000 شخص، كما تم توزيع ما يقارب 65 قطعة أرض بسيدي بوزيد إلى غير ذلك ...، كما وعدت الحكومة بوضع قانون خاص بالفلاحين العمال ومن جهة أحرى عملت الحكومة التونسية ألى عزل العناصر غير

[1] براكني عبد الباقي وشلالي عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 89

[2] المرجع السابق، ص 89

المرغوب فيها داخل الإدارة التونسية مع الحد من مشاركتها في الحياة السياسية وفي ظل هذه الأجواء المشحونة التي تنبأ بقرب وقوع حرب أهلية يصدر قرار بألقاء القبض على صالح بن يوسف منذ 16 جانفي 1956 على خلفية دعوة اتباعه الى الدخول في العصيان، وفي 28 جانفي داهمت قوات الامن مقر الاماتة العامة بالعاصمة التابعة لصالح بن يوسف، كما تم تفتيش منزله بحثا عنه، لكنه اختفى وغادر التراب التونسي نحو ليبيا، ولم يعلن عن وجوده بالتراب الليبي إلا مطلع شهر فيفري 1956 بعدما منحته السلطات الليبية حق اللجوء السياسي لينتقل بعدها الى في القاهرة لمواصلة كفاحه من هناك .[1]

- **وفاته (اغتياله).**

وفاة صالح بن يوسف أو حادثة اغتياله كانت في فرانكفورت بعد وصوله بيومين بغرفة فندق "أوتيل رويال" بالمدينة صباح يوم 12 اوت سنة 1961، وتبنى بورقيبة عملية الاغتيال أمام طلبة معهد الصحافة وعلوم الأخبار في خطاب رسمي بتاريخ 16 ديسمبر 1973 وأعلن أنه زكى الخطة التي أعدها فريق التنفيذ وبرر اغتيال "الحية الرقطاء" بن يوسف بأنه عمل دفاعي، وكان اغتيال كتالي من قبل البشير زرق العيون ابن عم بن يوسف، وأوقعه في كمين في الفندق المذكور تسلل القاتلان إلى غرفة الفندق وكانا يحملان جوازي سفر ديبلوماسيين أعطيا لهما بأمر من الصين السحباني أحد أبرز جلاّدي صبّاط الظلام وأفرغا رصاصات في رأس الضحية وغادرا ألمانيا على عجل.[2]

[1] براكني عبد الباقي وشلالي عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 89

[2] الحسين بن عيسى، المرجع السابق، ص 206-207.

وكان اغتيال صالح بن يوسف ضربة قاسية لمعارضة أضحت فاقدة لمغزى وجودها منذ استكمال البلاد استقلالها ففقدت قاعدتها الشعبية وذاب أنصارها تدريجيا من كاتم لميوله إلى ملتحق بركب المنتصرين التائبين إلى منخرط في تيار العروبيين القوميين.[1]

وتفاصيل الحادثة اغتيال بن يوسف من طرف بورقيبة كتالي كما قالها، أن الرجلين رتب لهما لقاء بطلب من بورقيبة برعاية السلطات السويسرية، كان ذلك في شهر فيفري 1961، وإن كان الطبيب الخاص لبورقيبة عمر الشاذلي يجعل سببا أخر للقاء مفاده أن بورقيبة وهو في طريق عودته إلى زوريخ من المغربّ، طلب لقاء بن يوسف وألقي عليه القبض في سويسرا وهو يحمل أوراق مزورة.[2] وأمله أن يرجع إلى رشده وإلى صف الحزب، وكان اللقاء يوم 03 مارس، وكان من جملة الحضور وسيلة بن عمار التي اصطحبته من رحلة من المغرب قبل زواجهما ومعها أختها نائلة وابنتها نبيلة، وعلالة العويتي وبشير زرق العيون ابن عم بن يوسف، وتوفيق ترجمان سفير تونس ببارن وبحضور أعوان من الشرطة الفيديرالية السويسرية ومد بورقيبة يده لتحية بن يوسف لكن هذا الأخير أحجم عن لمس يده لأنه الذي وقع اتفاقية الخيانة، وأنه على مرافقة عشيقته في زيارة رسمية للمغرب لأن هذا العمل منافيا للأخلاق ولا يليق برئيس مسلم، فزاد هذا التوبيخ من حقد وسيلة على بن يوسف ولن تغفر له ذلك.[3] وحول الخلاف بين الجانبين دار الحوار التالي، فكان مما قاله بورقيبة:

❖ إني أحترمك ويجب علينا وضع حد لخلافنا، لقد حصلنا على استقلال تونس وليست الاتفاقيات التونسية الفرنسية خطوة إلى الوراء.

[1] عميرة علية الصغير، المرجع السابق، ص 95.

[2] الحسين بن عيسى، المرجع السابق، ص 206.

[3] الحسن بن عيسى، المرجع نفسه، ص 206.

❖ هذا غير صحيح – رد بن يوسف –إني أعتبر هذه الاتفاقيات دائما كخطوة إلى الوراء والاستقلال الذي تحدثني عنه ليس سوى كارثة لتونس، ومع أنه رمزي فإن هذا الاستقلال لم يكن ممكنا إلا بسبب معارضتي للاتفاقات المعقودة. والدليل على ذلك، ألم يبرر ادغار فور وغي موليه منح الاستقلال لتونس في جوان 1956 لوقف ثورة الشعب التونسي؟ أنك خائن.[1]

❖ وقال بورقيبة: "لقد اتصل به الضابطان المزعومان وعبرا له عن عزمهما على القضاء علي، فقبل العرض، وكان صالح بن يوسف على موعد مع البشير زرق العيون بألمانيا بعد أن رفض هذا الأخير عرضه في إجراء المقابلة بمصر، وقبل أن يكون ذلك بلبنان وكتب في برقية وجهها إليه: "إن كانت لك ثقة في شخصي فليكن لقاؤنا في فرانكفورت"، ولم يسافر "البشير زرق العيون" إلى هذه المدينة بل توجه إليه الشخصان المذكوران وعرضا عليه الصعود إلى غرفة بالنزل لتنظيم الخطة وبحلولهم بالغرفة صوب أحدهما المسدس إلى أدناه وأرداه قتيلا وخرجا وأقفلا الباب وتوجها حالا إلى المطار عملا بإشارة السيد البشير زرق العيون أوصاهما بامتطاء أية طائرة مهما يكن اتجاهها فركبا طائرة قاصدة سويسرا ومن سويسرا توجها إلى إيطاليا، وهناك التقيا بالبشير زرق العيون الذي تحصل لهما مع بعض أبناء جربة على ثمن تذكرتين سلمهما لهما، فعادا فورا إلى تونس، وهكذا تخلصت تونس من تلك الحية الرقطاء.[2]

دفن بالقاهرة ولم يعد رفاته إلى تونس إلا في ماي 1991 حيث دفن في روضة الشهداء بالزلاج في تونس العاصمة.[3]

---

[1] الحسين بن عيسى، المرجع السابق، ص 206-207.

[2] سعيد بحيرة، المرجع السابق، ص 339.

[3] محمد ويب، المرجع السابق، ص 138-139.

الفصل الثالث:

دور صالح بن يوسف في الثورة الجزائرية

المبحث الأول: علاقة صالح بن يوسف بالثورة الجزائرية.

المبحث الثاني: انعكاسات الصراع اليوسفي البورقيبي على الثورة الجزائرية.

المبحث الأول: علاقة صالح بن يوسف بالثورة الجزائرية.

إن العلاقات التونسية الجزائرية يربطها التاريخ والمصير المشترك والجوار، وقد تعمقت هذه العلاقات بدخول الاحتلال الفرنسي للمنطقة وقد أعطتها الحركة الوطنية التونسية والجزائرية دفعا وصلابة،[1] فعند اندلاع الثورة الجزائرية في نوفمبر 1954م، كانت الثورة في تونس قد بلغت مرحلة حاسمة وبدأت بوادر الاستقلال تلوح في الأفق حتى اكتملت في 20 مارس 1956م، فشجع هذا الاستقلال الوطنيين لمواجهة الأسطورة الفرنسية، فعمد الوفد الخارجي الجزائري بالقاهرة منذ سنة 1952م بقيادة "محمد خيضر" و"حسين آيت حمد"[2] و"أحمد بن بلة"[3] على اتخاذ تونس كقاعدة خلفية لنشاط قيادة الثورة، خاصة في تهريب الأسلحة، وهذا بحكم التحاور بين البلدين وأهمية تونس كحلقة وصل طبيعية بين الجزائر وليبيا والمشرق العربي (مصر).[4]

بعد استقرار صالح بن يوسف في القاهرة، والتحاقه بأعضاء مكتب المغرب العربي أعلن تأييده للعمل المغاربي الموحد لتحقيق الاستقلال التام لشمال الإفريقي، وعقد مشاركته

---

[1] حبيب حسن اللولب، التونسيون والثورة الجزائرية، ج1، ط1، دار السبيل للنشر، الجزائر، 2009، ص 33.

[2] حسين آيت حمد: سياسي جزائري ولد سنة 1926 بعين الحمام ولاية تيزي وزو، بدأ نشاطه السياسي مبكرا بانضمامه إلى صفوف حزب الشعب الجزائري، في مرحلة سرية منذ ان كان طالب في الثانوية، وفي 1949 تولى قيادة المنظمة العسكرية، وأصبح كذلك عضو باللجنة المركزية لحركة انتصار الحريات الديمقراطية بصفته ممثل الوفد الخارجي لحركة الانتصار رفقة محمد خيضر وبن بلة وشارك في مؤتمر باندونغ 1955 وغين وزير للدولة في التشكيلات للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، ينظر: عبد الله مقلاتي، أعلام الثورة الجزائرية، د ط، شمس الزبان للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 262.

[3] أحمد بن بلة: ولد في مدينة مغنية عام 1916 تلقى تعليمه الأول في مدارس تلمسان وعندما بلغ الخامسة عشر من عمره انخرط في حزب الشعب الجزائري، أنتخب سنة 1947 مستشارا لبلدية مغنية، ألقى عليه القبض سنة 1950 بالجزائر العاصمة وحكم عليه بسبع سنوات سجن، هرب من السجن سنة 1952م، التحق بالقاهرة وكون الوفد الخارجي للثورة مع حسين آيت حمد ومحمد خيضر، تم القبض عليه سنة 1956م خلال عملية القرصنة الجوية، وأطلق سراحه سنة 1962، شارك في مؤتمر طرابلس الذي تمخض عنه خلاف بينه وبين الحكومة المؤقتة، توفي سنة 2012، ينظر: مذكرات أحمد بن بلة، تر: العفيف الأخضر، د ط، منشورات دار الآداب، بيروت، دس، ص 5...9..

[4] نجاة عبو، المرجع السابق، ص 149.

بمؤتمر "باندونغ" مثل الوفد المغاربي كما وقع في 20 أفريل 1955م رفقة "حسين آيت أحمد" و"علال الفاسي" على تصريح لمطالبة الكتلة الافروأسيوية، ان تتخذ لدى الأمم المتحدة موقفا فعالا لتحرير الجزائر وتونس والمغرب الأقصى،[1] وبعد توقيع اتفاقيات الحكم الذاتي عارضها صالح بن يوسف واعتبرها خيانة للشعب الجزائري[2] مؤكدا على مسألة الترابط التاريخي والمصيري بين الشعب التونسي والجزائري في إطار الانتماء العربي الإسلامي لتونس، وقد أصبح بن يوسف ممثلا للتوجه العربي الإسلامي، وداعيا لتوحيد النضال التحرري على النطاق المغاربي، فرفض مع بعض قادة الثورة التونسية المسلحة النهج الاستسلامي والإقليمي الضيق، كما رفضوا أن يدفع الشعب الجزائري وحدة ثمن الحرية والكرامة، وأن تسكن البنادق في الأراضي التونسية لتركز فرنسا قواها على الجزائر.[3]

قام صالح بن يوسف من جهته بحملة توعية الجماهير بالقضية الجزائرية وأشرف على اجتماع جماهيري بجامع الزيتونة وألقى خطابه تعرض فيه إلى الثورة الجزائرية حيث توجه مكبرا ومحملا لبطولاتهم وكفاحهم، وصرح بأن تلك المواصفات التي تحلى بها إخواننا المجاهدين الجزائريين نحييهم باسمكم جميعا وتعبيرنا لهم تأييدنا وتشجيعنا وتضامننا معهم لأننا نعتقد كما يعتقد إخواننا الجزائريون أن حرية الشمال الإفريقي العربي المسلم تبقى حرية لا تتجزأ ولا يمكن أن ينالها شعب من شعوب شمال إفريقيا بينما يبقى الآخر تحت السيطرة الاستعمارية فإن مستقبل المغرب العربي واحد لا يتجزأ.[4]

واصل بن صالح بن يوسف حملته الدعائية إلى التلاحم والتضامن ورص صفوف الوحدة، ونلمس ذلك حينما صرح أن قضية المغرب العربي قضية واحدة لا تتجزأ، ذلك هو

---

[1] المنصف الشابي، المصدر السابق، ص 172.

[2] عبد الحفيظ موسم، المرجع السابق، ص 123.

[3] حبيب حسن اللولب، المرجع السابق، ص 48.

[4] طاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 116.

مبدأنا الذي ندين به وندعو إليه، ونعمل له، ولا يمكن للمغرب العربي أبدا أن ينتزع استقلاله الغالي وأن يحطم سلاسل الاستعمار التي تطبق عليه منذ زمن بعيد إلا بالتلاحم والتضامن.[1]

وفي إطار التنسيق لتوحيد الكفاح مع الوطنيين الجزائريين، التقى صالح بن يوسف عقب عودته من مؤتمر باندونغ بأندونيسيا إلى القاهرة مع المناضل أحمد بن بلة ممثلا عن جيش التحرير الجزائري في شهر أفريل 1955، بهدف التعارف والتنسيق لإعادة إحياء جبهة الكفاح المسلح في تونس، وخلال هذا اللقاء تمت الموافقة على خطة العمل التي وضعها بن يوسف بالتنسيق مع الجانبين الجزائري والمصري، والتي نصت على ما يلي:

- ❖ تعبئة الشعور الوطني والقومي للشعب التونسي ضد الاتفاقيات التونسية الفرنسية، عن طريق المنشورات التي سيقوم السيد صالح بن يوسف بإعدادها باسمه لتوزع في كافة أنحاء تونس.
- ❖ اتمام الاتصال بالعناصر المعارضة الموثوق بها داخل تونس، لتنظيم الجهاز الذي سيتولى مسؤولية إدارة الكفاح المسلح بالتنسيق مع ممثلي جيش التحرير الجزائري.
- ❖ إعداد الأسلحة اللازمة للكفاح وتهريبها عبر ليبيا.
- ❖ تكوين لجنة تنسيق تجمع بين صالح بن يوسف وأحمد بن بلة لتنسيق الكفاح المسلح طبقا للخطة العامة لتوحيد الكفاح في الأقطار الثلاثة.[2]

وبعد هذا اللقاء غادر صالح بن يوسف القاهرة متجها نحو طرابلس لمعاينة الوضع ميدانيا على الطبيعة بالقرب من الحدود التونسية، ثم عاد إلى القاهرة في أوائل شهر سبتمبر

[1] طاهر سعيداني، القاعدة الشرقية قلب الثورة النابض، ط1، دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص 167.

[2] عبد الحفيظ موسم، المرجع السابق، ص 124.

1955 لتعقد معه عدة جلسات لدراسة الموقف والالمام بالظروف المحيطة بعملية إحياء جبهة الكفاح المسلح بتونس.[1]

قرر صالح بن يوسف العودة إلى تونس لقيادة النضال من سياسة بورقيبة وإسماع صوت المعرضة في الداخل، حيث عاد بن يوسف إلى تونس في 13 سبتمبر 1955.[2]

وصل الطاهر الأسود إلى طرابلس يوم 24 نوفمبر 1955 والتقى مع الضابط فتحي الذيب وبعد تحليل الوضع بتونس ودراسة الامكانيات تم الاتفاق على العمل المسلح والبدء في الاتصال فورا بممثلي جيش التحرير الجزائري بمنطقة تبسة وسوق أهراس وقسنطينة من أجل تنسيق العمل المسلح بين الجهتين التونسية والجزائرية والتزمت قيادة المقاومة في تونس بتوصيل السلاح والذخيرة إلى جيش التحرير الجزائري.[3]

عند رجوع صالح بن يوسف إلى تونس وتعاظم المعرضة واشتدادها قررت الحكومة التونسية إلقاء القبض عليه ووضع حد للتيار الوحدوي ولكنه تمكن من الفرار إلى ليبيا في 28 جانفي 1956 وقبل مغادرة تونس عقد اجتماعا في بيته حضره إلى جانب التونسي الطاهر لسود[4] والطيب زلاق وعلى الزليطي وعلى الجانب الجزائري حضره السعيد عبد الحي وعباس لغرول.[5]

---

[1] فتحي الذيب، المصدر السابق، ص 132.

[2] محمد ذويب، المرجع السابق، ص 138.

[3] فتحي الذيب، المصدر السابق، ص 130.

[4] الطاهر لسود: ولد بمنطقة الحامة سنة 1911، التحق بالجندية سنة 1930 وتحصل على رتبة مراقب، نشط بالشعبة الدستورية بالحامة، اعتبر من الأوائل الذين رفعوا السلاح المقاومة المسلحة في تونس سنة 1952، عارض اتفاقيات الاستقلال الداخلي وأصبح الشخصية الثانية بعد صالح بن يوسف، قاد ما يعرف بجيش التحرير من ديسمبر 1955 حتى إمضاء بروتوكول الاستقلال التام يوم 20 مارس 1956 توفي سنة 1996، ينظر: عروسية التركي، المرجع السابق، ص 19.

[5] طاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 133.

وازداد التلاحم بين أنصار الحركة اليوسفية والثورة الجزائرية بتأسيس جيش تحرير شمال إفريقيا في فيفري 1956م، إذ أعلن الطاهر لسود عن تأسيس جيشا تحريريا وطنيا تونسيا لتحرير الوطن، كما أعلن عن ضم الجيش التونسي إلى جيوش الجزائريين والمغاربة، ويعود تكوين جيش تحرير شمال إفريقيا إلى دعم جمال عبد الناصر بعد هروب بن يوسف إلى طرابلس، وكما ساهم صالح بن يوسف بالتنسيق مع أحمد بن بلة في تجنيد مقاتلين تونسيين لإدخال شحنات من الأسلحة عبر ليبيا إلى الجزائر.[1]

خلال شهر مارس 1956 تم نقل دفعتين هامتين من الأسلحة وإيصالها لجيش التحرير الوطني بالحدود الشرقية الجزائرية، حيث زودت جهتي الأوراس والقاعدة الشرقية كمية هامة من الأسلحة دعمت قدراتهما وقد هربت بطريقة سرية بالتنسيق مع صالح بن يوسف وأصبح مرور الأسلحة يتركز بمناطق الجنوب نظرا لانحصار المعارضة التونسية.[2]

التنسيق بين جيش التحرير التونسي وجيش التحرير الوطني الجزائري:

عمل زعيم المعرضة التونسية بكل ما لديه من إمكانيات من أجل التنسيق مع جيش التحرير الوطني الجزائري، فيما يتعلق بعمليات الإمداد بالسلاح للمقاومتين التونسية والجزائرية حيث قامت المقاومة التونسية بالتنسيق مع المقاومة الجزائرية بقيادة الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني لتهريب السلاح عبر الأراضي التونسية من جهة ولدعم إمكانياتهم من جهة أخرى.[3]

[1] عبد الله مقلاتي وصالح لميش، المرجع السابق، ص 37.

[2] عبد الله مقلاتي، دور بلدان المغرب العربي في دعم الثورة الجزائرية 1945-1962، ج1، دار بوسعادة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 256.

[3] حبيب حسن اللولب، التونسيون والثورة الجزائرية، ج2، المرجع السابق، ص 115-116.

وفي هذا السياق صرح صالح بن يوسف لصحيفة لوفيغارد بما يلي: "إن المجاهدين التونسيين يشتبكون يوميا مع الجيش الفرنسي ويدخلون معه في معارك عديدة ليست منعزلة كما يدعي بعض الساسة الفرنسيين. وإنما هناك خطة عمل وتنسيق مشتركة بين الثوار التونسيين وجيش التحرير الجزائري" كما تم التعاون بين المقاومتين لنقل الأسلحة التي تم جمعها وتخزينها بليبيا بواسطة مجاهدي الثورة الجزائرية في جهة الأوراس بالتعاون مع الثوار التونسيين جماعة صالح بن يوسف.

وحسب شهادة المقاوم التونسي علي بن حسن بن كريم الظاهري الذي أكد أن جماعة صالح بن يوسف كان لها دور كبير في إمداد الثورة بالسلاح حيث قال في هذا الشأن: "... كان السلاح العصري يدخل إلى التراب التونسي عن طريق الشنادلة ويخبأ في مخابئ تونسية نهارا ثم ينتقل ليلا على ظهور الإبل ليهربه الجزائريون لإعانة إخوانهم التونسيون من جماعة صالح بن يوسف إلى داخل الجزائر ...".[1]

وفي إطار التنسيق بين الجيشين، كلف محمد خيضر بالإشراف على الجانب السياسي وتنسيق العلاقات مع صفوف صالح بن يوسف، إبراهيم بن طوبال، فتطور بذلك التعاون القائم مع اليوسفيون، وهو ما نلمسه من خلال ما عبر عنه محمد خيضر حين قال: "إن التونسيون بدفع من صالح بن يوسف يسيرون معنا تماما".[2]

كما قامت المقاومة التونسية بتأمين وحماية قوافل السلاح المتوجهة إلى الجزائر من قبضة السلطات التونسية والفرنسية وفي هذا الصدد ذكر الأستاذ الطاهر عبد الله أنه عندما تقوم الحكومة التونسية بعرقلة النضال الجزائري وتتعرض لسير قوافل السلاح المتوجهة إلى

[1] عبد الحفيظ موسم، المرجع السابق، ص 137.

[2] المرجع نفسه، ص 136.

الحدود الجزائرية لإمداد الثورة الجزائرية بالسلاح قامت المقاومة التونسية بحماية هذه القوافل.[1]

وتواصل دعم صالح بن يوسف للثورة الجزائرية إلى غاية 1961م، فقد أرسل برسالة للمناضل مصطفى كمال المرزوقي بتاريخ 10 جويلية 1956م، يدعو فيها كافة المجاهدين بجيش التحرير الوطني التونسي لمواصلة الكفاح من أجل مساعدة الجزائر.[2]

وفي رسالة أخرى بعث بها صالح بن يوسف إلى إبراهيم بن طوبال رئيس مكتب تونس بالقاهرة بتاريخ 01 أوت 1961م، تحدث فيها عن اجتماعه بالمسؤولين الجزائريين واتفاقهم حول مواصلة التعاون والتنسيق بين الثورة الجزائرية والحركة اليوسفية وتجسيده أكثر من أرض الواقع.[3]

بعدما أكد رفقة أنصاره عن وفائه للثورة الجزائرية، من خلال التزامه بخطها الثوري المغاربي، ورفضه للأعذار السياسية الواقعة، هكذا يتضح لنا استمرار التحالف بين مجاهدي وادي سوف والثوار اليوسفيون قويا إلى غاية صيف 1957م، ورغم انتهاء التحالف الضمني فإن صالح بن يوسف المعارض في القاهرة كما يصبع بأفكاره وآراءه ومواقفه تحالفا سياسيا مع الثورة الجزائرية، خاصة وأن زلات السياسة البورقيبية كانت تزيد في شعبيته وتأكد خياره الثوري.[4]

لم يتوقف دعم أنصار صالح بن يوسف لتصوراته إتجاه الثورة الجزائرية بل تواصل استقبالهم للاجئين وتعددت أشكال التضامن الجماهيري مع الثورة، بتنظيم عدة اجتماعات

---

[1] الطاهر جبلي، شبكات الدعم اللوجستيكي للثورة التحريرية 1954-1962، أطروحة لنيل درجة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2009-2010، ص 251.

[2] نجاة عبو، المرجع السابق، ص 151.

[3] المنصف الشابي، المرجع السابق، ص 245.

[4] عبد الله مقلاتي، دور بلدان المغرب العربي في دعم الثورة الجزائرية 1954-1962، المرجع السابق، ص 236.

لتنوير الرأي العام بالقضية الجزائرية فعلى إثر اعتقال القادة الجزائريين عقد ممثلو المنظمات القومية اجتماعا عاما شاركت فيه مختلف الأطياف التونسية للتنديد بعمل السلطات الفرنسية المشين.[1]

وفي الأخير نلخص أن صالح بن يوسف وأنصاره ناصروا الثورة الجزائرية، وأعلن بن يوسف تضامنه مع الإخوة الجزائريين والمغاربة منذ سنة 1954 إلى غاية 1961م وهذا راجع لإيمانه بعدالة القضية الجزائرية وسعيه لبعث مغربة الكفاح التحرري.

[1] حبيب حسن اللولب، المرجع السابق، ص 334.

المبحث الثاني: انعكاسات الصراع البورقيبي اليوسفي على الثورة الجزائرية.

لم تكتفي قوات التحالف البورقيبي الفرنسي بتتبع اليوسفيين وتصفيتهم، بل عملت ضمن استراتيجية قضائها على الحركة اليوسفية على إفشال التنسيق الحاصل بين مقاومي اليوسفية وثوار الجزائر من أجل الحفاظ على مصالحها الخاصة، وذلك عن طريق قطع سبل التواصل والتصدي لإمكانيات التضامن والدعم القائمة فيما بينهم، من خلال اتخاذ جملة من الاجراءات والتدابير اللازمة لذلك.

وفي هذا السياق قامت حكومة بورقيبة التي كانت كثيرا ما تتظاهر خلال تلك الفترة بمساندتها للشعب الجزائري المكافح، وتسلك في الواقع سلوكا هو أقرب إلى الخيانة والغدر بتجنيد بعض العصابات التونسية التي يقودها عدد من المقاومين التونسيين ممن شاركوا في الثورة الأولى (1952-1954) لتتولى مهمة مطاردة القوافل التي كانت تحمل السلاح إلى الجزائر تحت إشراف ثوار الجزائر المتخالفين مع أنصار بن يوسف، ومن أهم هذه العصابات نذكر:

❖ عصابة القائد الساسي الأسود[1] التي تمكنت من حجز قافلتين اثنتين من الاسلحة المهربة إلى الجزائر عبر تونس بعد معارك دامية سقط فيها عدد كبير من الجزائريين والتونسيين المتعاونين معهم الذين كانوا يرافقون تلك القوافل من أجل توفير الحماية لها،[2] حيث تحدث المناضل الحاج محمد بن فرج بن عمار السبوعي عن تعرض مجموعات

[1] ساسي الأسود: ولد بمنطقة الحامة سنة 1927 في وسط فقير، حيث كان راعيا عندما التحق بالثورة في جانفي 1952، وأصبح من أبرز القيادات الميدانية للمقاومة المسلحة في تونس وفي منطقة المغرب العربي ككل، شمل نشاطه في البداية جهة الهمامة بالوسط ثم منطقة الشمال الغربي وعزز منح تونس استقلالها الداخلي في 1955م، ساند صف الديوان السياسي بزعامة بورقيبة حيث كلف برئاسة لجان الرعاية على خمس ولايات والتي كانت مهمتها حفظ الأمن وتتبع اليوسفيين. أنظر: محمد ذويب، المرجع السابق، ص 19.

[2] الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 163.

الساسي الأسود لقوافل السلاح، حيث اشار إلى مشاركتها بجانب القوات الفرنسية في حادثة الاشتباك التي وقعت مع حراس إحدى قوافل تهريب بالقرب من "بن غيلوف" بجهة الحامة في 06 أفريل 1956.[1]

❖ عصابة القائد "الحسين بوزيان" الذي كان يشرف على بعض المجموعات المكلفة بحراسة الطرق المؤدية إلى الجزائر والقبض على قوافل الأسلحة التي كانت تقطعها، حيث تمكنت المجموعات التابعة له بمساعدة قوات الجيش الفرنسي من حجز كمية هائلة من الاسلحة الموجهة للجزائر، الأمر الذي أدى إلى مقتل هذا القائد على يد المقاومين التونسيين المتعاونين مع الثوار الجزائريين.

❖ عصابة القائد "محجوب بن علي" التي احتضنت بمطاردة الجزائريين الذين كانوا يلجؤون إلى الأراضي الجزائرية في بعض الأحيان، حيث يتصدى لهم المحجوب بن علي بإذن من حكومة بورقيبة لمقاتلتهم بجانب الجيوش الفرنسية.[2]

بعد استقلال تونس كان بورقيبة يعمل في اتجاه فرض الأمر الواقع على الثورة الجزائرية، حيث تشير بعض الوثائق إلى المحاولات العديدة التي قام بها للتدخل في الشؤون الداخلية للثورة الجزائرية لإيقاف الكفاح المسلح تطبيقا لمخطط مبرمج من السلطات الفرنسية، وقد حاول اقناع قادة جيش التحرير وجبهة التحرير الوطني بعدم التمسك بشرط الاستقلال التام وقبول حل الوسط.[3]

وكانت مطاردة هذه العصابات المباشرة للعمل العسكري إلى جانب قوافل تهريب السلاح ناجحة كما كانت عليه إبان الثورة الأولى (1952-1954) وذلك بفضل التجهيزات

[1] عبد الحفيظ موسم، المرجع السابق، ص 182.

[2] الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 163-164.

[3] نجاة عبو، المرجع السابق، قص157.

الأساسية التي قام بها "بواي دي لاتور" في (1954-1955)، حيث خصص لها مليار فرنك لفتح معابر الطرقات والمسالك وأبراج المراقبة وإقامة قواعد للطيران في عدة مناطق وعرة قصد تمكين الوحدات الفرنسية من التحرك السريع في جبال الوسط والجنوب بالإضافة إلى الخدمات اللوجستية التي قدمها المقاومون القدامى من أتباع الديوان السياسي والذين قد تمرسوا بهذا الموقع أثناء الثورة الأولى.[1]

كما اعتمدت على الاستراتيجية التخزين داخل الثورة الجزائرية، بحكم أن قسما كبيرا من جيش التحرير التونسي والمناضلين السياسيين في المعارضة من منطقة الجنوب بقوا يتعاونون مع الثورة الجزائرية وجيش التحرير الجزائري فإن الحكومة التونسية بدأت تضغط على الجانب الجزائري لكي يتخلى عن عناصر جيش التحرير التونسي أو يسلمهم للحكومة التونسية فرفض الجانب الجزائري هذا المطلب وبدأت الحكومة التونسية عندئذ تخلق للجانب الجزائري المتاعب والمشاكل.[2]

واللافت للانتباه أن التغطية الاعلامية الفرنسية للثورة الجزائرية وتطور القضية التونسية تنتهي إلى استنتاج أن السلطات الاستعمارية وأجهزتها المختلفة قد أفشلت كل المحاولات الرامية لتوحيد صفوف المقاومة المسلحة بين البلدين، أوقفت على جميع العناصر المتسللة عبر الحدود بين البلدين، ومنها مثلا قضية تصفية أحد المقاومين والمدعو "محمد الجزيري اليعقوبي" في مدينة تونس الذي عاد إلى أهله، لكنه في الحقيقة كان يعمل على إمداد الثورة الجزائرية بالسلاح والرجال وتدعي سلطة الاحتلال أن المؤامرة التي تم اكتشافها تهدف إلى

[1] عروسية التركي، الحركة اليوسفية، المرجع السابق، 365.

[2] الطاهر عبد الله، المرجع نفسه، ص 170.

إعادة الاضطرابات والمواجهات من خلال تصفية عدد من الشخصيات التونسية وتعطيل المفاوضات بين تونس وفرنسا، والقيام بالتنسيق مع الثوار بالقطر الجزائري.[1]

ونتيجة لهذه الاستراتيجية التي اتبعتها السلطات الاستعمارية بالتعاون مع أنصار الديوان السياسي، تمكنت قوات الجيش الفرنسي من الإطاحة بعدة قوافل لنقل وتهريب الأسلحة على كامل الشريط الحدودي الشرقي مع ليبيا والغربي مع الجزائر، فقد قامت بالعديد من العمليات للإطاحة بقوافل تهريب السلاح نذكر:

❖ التصدي لقافلة تهريب الأسلحة بمنطقة "أولاد علي مفدة" جنوب غربي الفرنانة في 26 أوت 1955، بعد الإطاحة بمجموعة الثوار المكلفة بنقل الأسلحة هذه القافلة وإيصالها إلى الجزائر، وذلك عن طريق إيقاف عنصر من هؤلاء الثوار أثناء اجتيازه للحدود، هذا العنصر الذي مكن قوات الجيش الفرنسي من التعرف على بقية الثوار التونسيين والجزائريين المرابطين بالمنطقة.[2]

❖ إلقاء القبض على قافلة لتهريب السلاح بمنطقة رأس الوادي قرب الحامة في 16 أفريل 1956م، حيث ذكر التقرير الصادر عن جندرمة قابس الممضى من طرف الضابط "جون باريبي" أنه: "وقع القبض على الثائر "حسين بن مهدي بن علي" ضمن قافلة لتهريب الأسلحة مؤلفة من ستة جمال، وبعد اشتباك المطاردين مع الثوار اليوسفيين والجزائريين المرافقين للقافلة، تمكن هؤلاء الثوار من الفرار بينما وقع "حسين" في الأسر، كما تم قتل

[1] نجيب دكاني، الصراع اليوسفي البورقيبي وعلاقته بالثورة الجزائرية خلفيات موقفي صالح بن يوسف والحبيب برقيبة من الثورة الجزائرية، مصادر العدد 29، جامعة خميس مليانة، ص358.

[2] عبد الحفيظ موسم، المرجع السابق، ص 184.

اثنان من الحامة والاستيلاء على كميات كبيرة من الأسلحة والذخيرة التي كانت محملة على ظهور الجمال.[1]

إن هذه الإجراءات التي أقدمت عليها قوات التحالف الفرنسي البورقيبي، وإن كانت في حقيقة الأمر قد مكنتها من الاستيلاء على كميات هامة من الأسلحة أثناء تعرضها لقوافل التسليح، فإنها لم تثن عناصر جيش التحرير التونسي والمناضلين السياسيين في المعارضة اليوسفية عن مواصلة التعاون مع الثورة الجزائرية والتنسيق مع أفراد جيش التحرير الجزائري.[2]

وفي بداية سنة 1956م طلب المسؤولون التونسيون من جماعة جبهة التحرير الوطني بالداخل لإيفاد مسؤول يسوي المشاكل القائمة بتونس فكلف "عبان رمضان" و"حامد روابحية" للسفر معاينة الوضع هناك، فوصل هذا الأخير إلى تونس في مارس 1956 واتصل بالوزيرين "الباهي الأدهم" و"الطيب المهيري" الذي اشتك له تعامل الجزائريين مع المعارضة وشرح له ما ينتظره المسؤولون التونسيون من قيادة الثورة ملخصا ذلك في أمرين:[3]

- أن يتخذ الثوار الجزائريين الشريط الحدودي التونسي قاعدة خلفية للاستراحة، أو لا يحولونه إلى ساحة قتال مع الفرنسيين.

[1] عبد الحفيظ موسم، المرجع نفسه، ص 184.

[2] طاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 170.

[3] عبد الله مقلاتي، دور المغرب العربي وإفريقيا في دعم الثورة الجزائرية 19954-1962، مرجع سابق، ص 157.

•أن يلزموا الحياد بخصوص الخلاف الدائر بين أنصار "بورقيبة" وأنصار "بن يوسف" ومنه يمكننا القول إن حكومة بورقيبة قد اتبعت سياسة التقرب من مسؤولي الثورة الجزائرية قصد إبعادهم عن التحالف مع المعارضة اليوسفية.[1]

إن قراءة متأنية في طلبات الوزيرين التونسيين، تجعلنا نقر باتباع حكومة بورقيبة لسياسة التقرب من مسؤولي الثورة الجزائرية قصد سنيهم عن التحالف مع المعارضة اليوسفية، وهو ما نلمسه أيضا من خلال تلك الاجتماعات التي كانت تتم في القاهرة بين المسؤولين التونسيين والأمين دباغين المكلف بالإشراف على البعثة الخارجية والسيد أحمد توفيق المدني، والتي عبر خلالها ممثلي الحكومة التونسية عن استعداد حكومتهم للتعامل مع الجزائريين وتقديم مساعداتها لهم مقابل تخليهم عن التعامل مع أنصار بن يوسف الذين كانوا يخوضون حرب العصابات في جنوب تونس.[2]

وإذ كان الأمين دباغين قد اقتنع بأن التعامل مع أنصار بن يوسف قد أصبح قضية خاسرة بعد أن سيطرت الحكومة التونسية على الوضع الداخلي في تونس، فإن هذا الطرح قد تقرر رسميا خلال اجتماع البعثة الخارجية لجبهة التحرير الوطني في أوت 1956، أين تم التأكيد على ضرورة التعامل مع الحكومة التونسية بصفة رسمية، [3] خاصة بعدما أبدت هذه الأخيرة استعدادا تاما لدعم الثورة الجزائرية، وهو ما تجسد ميدانيا من خلال التوقيع على اتفاقية التسليح بين الطرفين الجزائري والتونسي أثناء اللقاء الذي جمع بينهما بالقاهرة في 22 جانفي 1957[4] وهي الاتفاقية التي نصت على ما يلي:

---

[1] محمد حربي، جبهة التحرير الوطني (الأسورة والواقع)، تر: عميل قيصر داغر، دار الكلمة للنشر والتوزيع، بيروت، 1983، ص 160.

[2] محمد حربي، المصدر السابق، ص 160.

[3] عبد الله مقلاتي، دور بلدان المغرب العربي، إفريقيا في دعم الثورة الجزائرية، المرجع السابق، ص 258-259.

[4] عبد الحفيظ موسم، المرجع السابق، ص 188.

❖ تتعهد الحكومة التونسية بنقل الأسلحة الجزائرية التي تصلها عبر الحدود من ممثلي جبهة التحرير الوطني، كما تتعهد بتسليمها لمن تعينه الجبهة لهذه المهمة.

❖ تكون اللجنة التي تشرف على هذه المهمة تحت حراسة وضمان هيئة مشتركة مؤلفة من ممثلين عن الديوان السياسي التونسي وممثلين عن جبهة التحرير الوطني.

❖ تتعهد هذه الهيئة المشتركة بأن لا تتسرب إلى البلاد التونسية أي قطعة سلاح، أو أي جزء من الذخيرة المخصصة لصالح الجزائر.

❖ لا تتم عملية النقل هذه إلا بين الجزائريين المفوضين من قبل جبهة التحرير الوطني والتونسيين المفوضين من قبل جبهة التحرير الوطني والتونسيون المفوضون من قبل الديوان السياسي التونسي دون أي مشاركة خارجية عنها.

❖ المسائل الفنية المتعلقة بتنفيذ هذا الاتفاق بصفة سريعة وعملية تتولاها لجنة مسؤولة مشتركة مؤلفة من عضو يعينه الديوان السياسي وعضو آخر تعينه جبهة التحرير الوطني.

❖ تبدأ اللجنة عملها عند مصادقة الرئيس "الحبيب بورقيبة" على هذا النص النهائي بعد رجوع الوفد التونسي للعاصمة التونسية.[1]

هكذا يتضح لنا من خلال قراءة مضمون هذه الاتفاقية، أن الحكومة التونسية قد نجحت في فك ارتباط الجزائريين بمقاومي الحركة اليوسفية، باعتبار أنها فرضت على الجزائريين ضرورة التعامل مع التونسيين المفوضين من قبل الديوان السياسي وفقط، دون مشاركة الأطراف الأخرى، وبذلك تكون الحكومة التونسية قد سحبت البساط من تحت أقدام مناوبها من اليوسفيين حيث تعهدت بنقل وتهريب الأسلحة الخاصة بالجزائريين.

[1] أحمد توفيق المدني، حياة كفاح (مذكرات)، ج2، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص 278-279.

خاتمة

من خلال دراستنا لموضوع مذكرتنا والتي تناولنا فيها موضوع " صالح بن يوسف نضاله في تونس وعلاقته بالثورة الجزائرية 1954 . 1961 ومنه خرجنا بجملة من الاستنتاجات نذكرها فيما يلي:

- ✓ تأسيس النواة الأولى للحركة الوطنية التونسية المناهضة للاستعمار الفرنسي ونظام الحماية.
- ✓ رافق هذا التنظيم السياسي تصاعد المد والنضال العسكري المسلح، غير أن هذا لم يكن بقيادة عسكرية موحدة، وإنما كانت حركات شعبية عارمة ضد المستعمر الفرنسي.
- ✓ إن الحزب الدستوري التونسي الذي تأسس سنة1920 كان له الدور الكبير في تاريخ تونس المعاصر وحركات التحرر، ويعود سبب هذا النجاح للحزب إلى التفاف الشعب التونسي حوله.
- ✓ يمكن اعتبار المرحلة التاريخية من سنة1934. 1938 بمرحلة الذروة بالنسبة للحركة الوطنية التونسية، خاصة بعد التحام معظم الشعب التونسي مع قيادات الحركة الوطنية التونسية، حيث أن "الحبيب بورقية" و"صالح بن يوسف " كانا محل تجاذب، بل أن كل من الزعيمين كانا يحظيان بمكانة مميزة سواء **لدى** الشعب التونسي وحتى العربي والعالمي
- ✓ إن التكوين السياسي والاجتماعي لكلا من الشخصيتين ساهم بقوة كبيرة في إظهار كل منهما في الساحة السياسية والدخول بقوة في المعترك السياسي والوطني ضد سلطة الحماية.
- ✓ إن العمل السياسي الذي قاما به الرجلين في الداخل والخارج جعل لهم أنصار داخل تونس وخارجها.
- ✓ إن البيئة السياسية والاقتصادية والثقافية التي نشأ فيها صالح بن يوسف كان لها تأثير فعال ومهم في تطور مواقفه ضد سياسة الاحتلال والحماية، وقوة شخصيته النضالية

والسياسية، وقد تفطن صالح بن يوسف لنظام الحماية بتونس فأعلن رفضه التام للنظام في وقت مبكر، بالإضافة إلى ميولاته السياسية والدبلوماسية لتحقيق استقلال تونس، وهذا رجع لطبيعة شخصيته المثقفة، فهو يتقن لغة القانون والخطاب، وقد كان له دورا بارا ز في إعادة تنظيم الحزب وترتيبه خاصة بعد اكتسابه لشرعية جديدة وهي شرعية السجن عام 1935 فأصبح المنافس الأول لبورقيبة على الزعامة الحزبية، وبالتالي فإن الدور الذي قام به صالح بن يوسف في إعادة بناء الحزب وبناء الحركة الوطنية لا تقل أهمية عن الدور التأسيسي للحزب والحركة الوطنية، ويكن القول أن ابن يوسف بدأ من الصفر، وبعد سنة 1938، أصبح لابن يوسف صيت واشعاع كبير في الحزب والساحة الوطنية بصفة عامة، وأصبح يتقاسم الأدوار مع بورقيبة حتى وصل مركز القيادة ليصبح المسؤول الأول عن الحركة الوطنية للحزب وبقي أمينا عاما له.

- ✓ ان الدراسة الجامعية في باريس نفسها ساعدت في تكوين الزعيمين خاصة في الجانب السياسي وجعلتهم يحاربون فرنسا بفرنسا كما يرى الحبيب بورقيبة، اختلفت طرق المقاومة لدى الزعيمين فبورقيبة يرى الحل السلمي مع فرنسا وعدم الجنوح للسلاح ويرى ان العمل السلمي يأتي بالاستقلال الكامل ومواصلة الكفاح المسلح لإخراج فرنسا من تونس.
- ✓ ان الصراع بين الزعمين صالح بن يوسف والحبيب بورقيبة ليس وليد اللحظة والمقصود بها فترة الدراسة وانما هو متجذر في الحزب الدستوري التونسي الجديد فاذا ما عدنا الى سنوات الثلاثينات نجد الصراع شبيه بالصراع البورقيبي اليوسفي وجماعته الجدد وبين أعضاءه للحزب الدستوري القديم.
- ✓ سبب هذا الصراع أيديولوجي فكري فبن يوسف لديه مبادئ واصالة عربية إسلامية، وبورقيبة متأثر بالحضارة الفرنسية والانبهار بهم.

- ✓ تقرب فرنسا من الحبيب بورقيبة بسب مبادئه واراءه والتعجيل بمنح الاستقلال لتونس تبين لها ان الشعب التونسي مال الى الكفاح المسلح ومواصلة العمل العسكري الى جانب صالح بن يوسف، وبالتالي يمكن ان تخرج الامور من صالحها.
- ✓ كان لتقرب فرنسا من بورقيبة ومنحه الاستقلال تضمن باذلك قطع الطريق اما المد العربي الإسلامي الى شمال افريقيا وضمان تبعية تونس لها اذ ما كانت تحت حكم الحبيب بورقيبة.
- ✓ كان بورقيبة وغيره من أنصار الديوان السياسي للحزب الحر الد ستوري التونسي، قد قبلوا بالاستقلال الذاتي لتونس سنة 1955، فإن الأمين العام للحزب الدستوري التونسي "صالح بن يوسف"، قد أعلن عن رفضه القاطع لاتّفاقيات الحكم الذاتي في تونس عشية التّوقيع عليها، معتبرًا إياها خطوة إلى الوراء وخيّانة كبرى للشهداء ولمجاهد ي الجزائر والمغرب.
- ✓ لم يكتف بن يوسف بالإعلان عن رفضه لمبد أ الحكم الذ اتي بتونس فحسب، بل شرع في توضيح كل التّجاوزات التي تضمنتها تلك الاتّفاقيات، من خلال تصريحاته الصّحفية وخطاباته اليومية التي مكنته من كسب شرائح كبرى في المجتمع التونسي، على غرار جماعة الدستور القديم ومنظمة صوت الطالب الزيتوني والاتحاد العام للفلاحة التونسية وبعض المقاومين القدماء من أمثال الطّاهر لسود والطيب الزلاق والطّاهر بن الأخضر الغريبي...، مشكلا بذلك الحركة اليوسفية كحركة معارضة للاستقلال الداخلي ولسياسة بورقيبة في التعامل مع سلطات الاستعمار الفرنسي.
- ✓ إن رفض الحكم الذّاتي في تونس، وتمسك الحركة اليوسفية بمطلب الاستقلال التّام، هو الذي دفع قيّادتها إلى تنسيق جهود النّضال مع قادة الثورة الجزائرية لأجل توحيد الكفاح المسلّح ومواصلة مسيرة التحرر من الاستعمار الفرنسي، وهو ما تجسد ميدانيا على الصعيدين السياسي والعسكري.

- ✓ لقد تم التنسيق سياسيا بين قادة كل من الحركة اليوسفية والثورة التحريرية الجزائرية، من خلال مجموعة من اللّقاءات والاتفاقيات التي كانت تتمّ بينهما بهدف التعارف والتعاون لإعادة إحياء جبهة الكفاح المسلح بتونس لدعم الثورة الجزائرية، مثل اللّقاء الذي جمع بينهم خلال شهر أفريل 1955بالقاهرة، والذي انتهى إلى تكوين لجنة تنسيق تجمع بين صالح بن يوسف وأحمد بن بلة لتنسيق الكفاح المسلح طبقا للخطة العامة لتوحيد الكفاح في الأقطار الثلاثة .كما تم التوقيع خلال شهر جانفي1956 ، على اتّفاق بين الأمانة العامّة للحزب الدستوري الحر الجديد وممثّلي جبهة التحرير الوطني بهدف ضبط وتنظيم سبل وآليّات التعاون بين اليوسفيين والثوار الجزائريين.
- ✓ كانت مبادئ الحركة اليوسفية المتمثلة في رفض الحكم الذاتي والتمسك بالخيار العسكري كوسيلة لتحقيق الاستقلال التام لتونس ضمن نطاقها المغاربي العربي، إحدى أهم العوامل التي دفعت الزّعيم بورقيبة إلى التّحالف مع فرنسا للقضاء عليها (اليوسفية، موظّفا في ذلك جهاز الدولة التونسي (القضاء، قوات الأمن التونسي ...) لتتبع اليوسفيين وتصفيتهم.
- ✓ وفي الأخير يمكن القول إن صالح بن يوسف كان له دور هام وريادي في تحقيق استقلال تونس، فبالرغم من تعرضه للاعتقال إل أنه واصل نضاله إلى غاية استعادة السيادة الوطنية وظل وفيا لمبادئه إلى غاية اغتياله بفرانكفورت بألمانيا سنة 1961.
- ✓ وكانت النتيجة الاخيرة لهذا هو مقتل الزعيم الصالح بن يوسف الذي قتل غدرا وخيانة من طرف النظام البورقيبي في ارض غريبة بعيدة عن وطنه، حيث عاش مجاهدا ومات شهيدة وندرجها ضمن جرائم الدولة التي تشبهها قصص واحداث وجرائم لدول أخرى.
- ✓ وعلى الرغم من الاتهامات التي وجهت إليه يحب السلطة والزعامة والتعصب إلا أننا لا ننكر الدور المهم والوطني والنضالي له، ويبقى نشاطه عمل إنساني، فكان بصفة خاصة في فترة مميزة من تاريخ تونس.

الملاحق

الملحق رقم 01: صورة لصالح بن يوسف.

الملحق رقم 02: منزل عائلة صالح بن يوسف.

منزل عائلة صالح بن يوسف أين وُلد بجربة (ميدون)

الملحق رقم 03: بن يوسف في مقر الأمم المتحدة عام 1952 ويظهر على يمينه الحبيب بورقيبة الابن والباهي الأدغم وعلى يساره الأمين العام للمنظمة الأممية.

الملحق رقم 04: صورة بن يوسف مع الزعيم بورقيبة يوم عودته إلى تونس في 13 سبتمبر 1955 .

الملحق رقم 05: مقتطف من مجلة الأنوار التونسية يروي تفاصيل اغتيال يوسف بن صالح

• تفاصيل عن اغتيال صالح بن يوسف
ترويها أرملته وصديقه ابراهيم طوبال.
• خمس ساعات من الاحتضار الأليم.
1987 / 12
الثمن :8.500 د.ت

الملحق رقم 06: رفات بن يوسف تعود في ماي؟

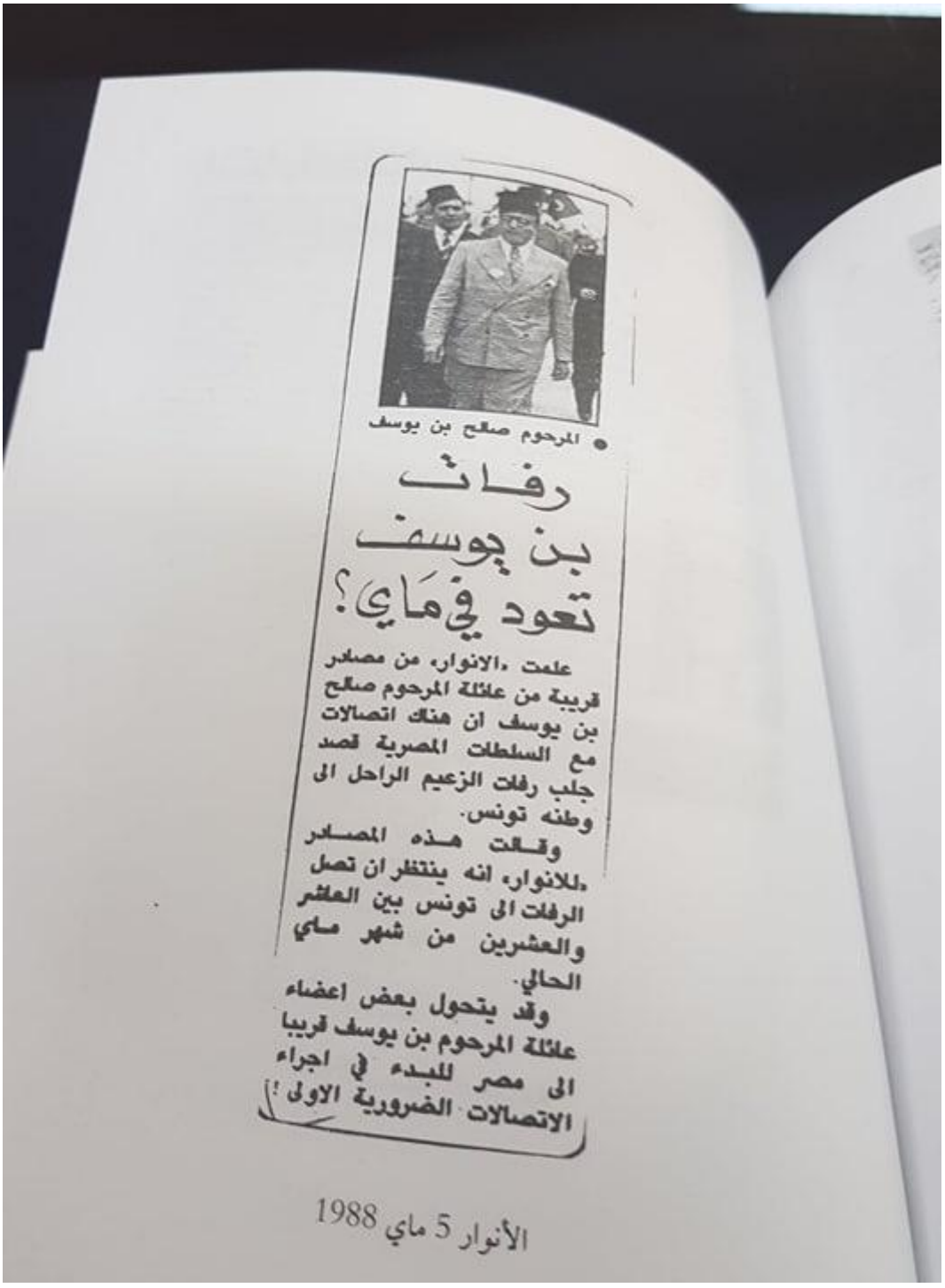

● المرحوم صالح بن يوسف

رفات بن يوسف تعود في ماي؟

علمت «الانوار» من مصادر قريبة من عائلة المرحوم صالح بن يوسف ان هناك اتصالات مع السلطات المصرية قصد جلب رفات الزعيم الراحل الى وطنه تونس.

وقالت هذه المصادر «للانوار» انه ينتظر ان تصل الرفات الى تونس بين العاشر والعشرين من شهر ماي الحالي.

وقد يتحول بعض اعضاء عائلة المرحوم بن يوسف قريبا الى مصر للبدء في اجراء الاتصالات الضرورية الاولى!

الأنوار 5 ماي 1988

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر:

1. البكوش الهادي، شهادات على الاستعمار والمقاومة في تونس والجزائر والمغرب، دار موصف للنشر، الجزائر، 2013.

2. البلهوان علي، تونس الثائرة، المطبعة العالمية، دار الرسالة، القاهرة، 1948.

3. الحبيب نويرة، الذاكرة الحية ذكريات عصفت بي، (د ط) دار سراس للنشر، تونس، 1992.

4. الذيب فتحي، عبد الناصر والثورة الجزائرية، ط1، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1990.

5. السعيد صافي، بورقيبة سيرة شبه محرمة، ط4، منشورات عربية، تونس، نوفمبر 2011.

6. الشابي المنصف، الزعيم صالح بن يوسف حياة كفاح، ط2، دار النقوش العربية، تونس، 2017.

7. الصافي محمد، الحركات التحريرية المغاربية أشكال الكفاح السياسي والمسلح (1942-1956)، د ط، مطبوعات إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2017.

8. الطاهر سعيداني، القاعدة الشرقية قلب الثورة النابض، ط1، دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

9. المدني أحمد توفيق، حياة كفاح (مذكرات)، ج2، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.

10. المدني توفيق، المعارضة اليوسفية نشأتها وتطورها، اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 2001.

11. المستيري أحمد، شهادة التاريخ، ذكريات وتأملات وتعاليق حول فترة من التاريخ المعاصر لتونس والمغرب الكبير (1840-1990) وثورة (2010-2011)، دار الجنوب، تونس، 2011.

12. مذكرات أحمد بن بلة كما أملاها روبير ميرل، تر: عفيف الأخضر، د ط، منشورات دار الأدب، بيروت، دس

13. محاضرات بورقيبة بمعهد الصحافة عن تاريخ الحركة الوطنية (حياتي-آرائي-جهادي)، ط1، دار آفاق، برسبكتيف للنشر، بتونس، 2015.

14. محمد حربي، جبهة التحرير الوطني (الأسطورة والواقع)، تر: عميل قيصر داغر، دار الكلمة للنشر والتوزيع، بيروت، 1983م.

قائمة المراجع باللغة العربية:

1. التركي عروسية، الحركة اليوسفية في تونس 1955-1956، د ط، مكتبة علاء الدين، صفاقس، 2011.

2. التركي عروسية، فصول من تاريخ الحركة الوطنية في تونس المعاصرة، مكتبة علاء الدين صفاقس، جوان 2005.

3. الحسين بن عيسى، البورقيبية والهوية صراع المشاريع، د ط، الشركة التونسية للنشر، 2015.

4. الشاطر خليفة وآخرون، تونس عبر التاريخ والحركة الوطنية ودولة الاستقلال، ج3، د ط، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2005.

5. الشريف محمد الهادي، ما يجب أن تعرف عن تاريخ تونس في عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، ط3، دار سرات للنشر والتونسي، 1993.

6. الصغير عميرة علية، اليوسفيون وتحرر المغرب العربي، ط2، مغاربية للطباعة والنشر، تونس، 2001.

7. الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة (1830-1956)، ط2، دار المعرف للطباعة والنشر، تونس، دس.

8. الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009.

9. القصاب أحمد، تاريخ تونس المعاصر (1881-1956)، تر: حمادي بالساحلي، ط1، الشركة التونسية للتوزيع، 1986.

10. اللولب حسن حبيب، التونسيون والثورة الجزائرية: ج1، ط1، دار السبيل للنشر، الجزائر، 2009.

11. اللولب حسن حبيب، التونسيون والثورة الجزائرية، ج2، ط1، دار السبيل للنشر، الجزائر، 2009.

12. بديدة لزهر، دراسات في تاريخ الثورة الجزائرية وابعادها الإفريقية، ط1، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

13. جلال يحي، العالم العربي الحديث والمعاصر، ج3، المكتب الجامعي، الإسكندرية، 2003

14. عبد الكريم عزيز، نضال شعب أبي تونس، مركز النشر الجامعي، تونس، 2001.

15. محمد ذويب، الفلاقة واليوسفية من خلال المصادر الشفوية، تر: بشير اليزيدي، ط1، منشورات سوتيميديا، تونس، 2017.

16. مقلاتي عبد الله، العلاقات الجزائرية المغاربية أثناء الثورة التحريرية، ج1، ط1، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

17. مقلاتي عبد الله، اعلام الثورة، د ط، شمس الزيبان للنشر والتوزيع، الجزائر، الجزائر، 2013.

18. مقلاتي عبد الله، دور بلدان المغرب العربي في دعم الثورة الجزائرية 1954-1962، ج1، دار بوسعادة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.

19. مؤلف مجهول، اتحاد المغرب العربي وحدة تاريخية وجغرافية بمركز زايد للتنسيق والمتابعة، دولة الإمارات العربية المتحدة، يونيو، 2001.

المراجع باللغة الفرنسية:

1. *Noureddine Dougui : Mongi slim l'homme des missions difficiles (1908-1969), institut supérieur de la Tunisie, 2017.*

2. *Sliman ben slliman : souvenires politique ceres production tunis, 1989.*

الأطروحات والرسائل الجامعية:

1. الشايب قدادرة، الحزب الدستوري التونسي الجديد وحزب الشعب الجزائري 1934-1954، دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007.

2. الطاهر جبلي، شبكات الدعم اللوجستيكي للثورة الجزائرية 1954-1962، أطروحة لنيل درجة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2009-2010ا

3. الطيب الباز، الحزب الدستوري التونسي الجديد ودوره في القضايا التحررية المغاربية 1947-1956، القضية الجزائرية نموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، 2007-2008.

4. العمري مومن، شعار الوحدة ومضامينه في المغرب العربي أثناء الكفاح الوطني، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تحت إشراف عبد الكريم بوصفصاف، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010.

5. بحر فياض نعمة، صالح بن يوسق ودوره السياسي في تونس 1934-1961، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة تكريت، 2012.

6. بوقرة لمياء، العلاقات الجزائرية التونسية 1954-1962، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2005-2006.

7. زايدي عز الدين، نزول قوات الحلفاء وأثره على منطقة شمال إفريقيا، رسالة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، سيدي بلعباس، 2014-2015.

8. عبو نجاة، التحرر الوطني ووحدة المغرب العربي لدى أحمد بن بلة وصالح بن يوسف، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، 2014.

9. معز عز الدين، فرحات عباس والحبيب بورقيبة دراسة تاريخية وفكرية مقارنو 1899-2000، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، 2009-2010.

10. موسم عبد الحفيظ، الحركة اليوسفية والثورة التحريرية الجزائرية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2015-2016.

المجلات:

1. أحمد مسعود سيد علي، اهتمامات الرأي العام التونسي وقضايا الثورة الجزائرية جريدة الصباح نموذجا 1954-1958، مجلة المعارف البحوث والدراسات التاريخية العدد 11، مسيلة، دس.

2. دكاني نجيب، الصراع اليوسفي البورقيبي وعلاقته بالثورة الجزائرية خلفيات موقفي صالح بن يوسف والحبيب بورقيبة من الثورة الجزائرية، مصادر العدد 29، جامعة خميس مليانة، د س.

3. حورية ومان، مشاركة الوطنيون اليوسفيون ودعمهم العسكري للثورة التحريرية الجزائرية 1956-1962، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد 05، جامعة محمد بوضياف المسيلة، جيلالي بونعامة، خميس مليانة، ديسمبر 2017.

4. عبد الجليل التميمي، سينمار الذاكرة الوطنية الزعيم صالح بن يوسف، المجلة التاريخية المغاربية، ع 130.

5. مجلة الأستاذ براكني عبد الباقي وشلالي عبد الوهاب، الصراع بين لحبيب بورقيبة وصالح بن يوسف وتداعياته على الوضع السياسي التونسي 1934-1956، مجلة الرسالة

للدراسات والبحوث الإنسانية، جامعة العربي التبسي، تبسة، المجلة 04، العدد 02، جوان 2019.

6. مجلة المنار، الجزائر، سنة ثانية، العدد 01، 08 أوت 1952.

الموسوعات:

1. الخوند مسعود، الموسوعة التاريخية والجغرافية معالم وثائق موضوعات زعماء، ج7، مؤسسة هانياد، لبنان 1996.

الشرائط الوثائقية:

1. التركي عروسية، صالح بن يوسف جريمة دولة، شريط وثائقي، بثته قناة الجزيرة الوثائقية، 26-09-2014.

2. حميدة بن علي وبن عمارة، صالح بن يوسف جريمة دولة، شريط وثائقي، بثته قناة الجزيرة الوثائقية، 26-09-2014.

3. عميرة عليا الصغير وعمار السوفي، صالح بن يوسف جريمة دولة، شريط وثائقي، بثته قناة الجزيرة الوثائقية، 26-09-2014.

4. عميرة عليا الصغير وعدنان منصر، صالح بن يوسف جريمة دولة، شريط وثائقي، بثته قناة الجزيرة الوثائقية، 26-09-2014.